مجلة الدراسات الأفريقية - العدد ٢٠ (١٩٩٨) : ١ - ٥١

ظاهرة عمالة الأطفال في بعض مجتمعات شرقى أفريقيا

الدوافع والآثار الأنثروبولوجية

« دراسة ميدانية »

د . سلوى يوسف درويش *

تعد ظاهرة عمالة الأطفال من أهم المشكلات التى تشغل معظم الباحثين والمتخصصين فى الآونة الأخيرة لما لها من أضرار عديدة ، تعود على الطفل العامل وعلى أسرتة وعلى المجتمع ككل . وقد داب الأطفال منذ الأزل على مساعدة أسرهم داخل المنزل وخارجه دون أن يعد ذلك استغلالا لهم . وقد سلطت الأضواء حديثا على الأطفال العاملين بسبب إنتشار ظاهرة العمالة بأجر وبدون أجر لدى الغير ، وما قد تحمله من آثار سلبية على سلامة الطفل ونموه الصحى والذهنى والجسمانى ، لذلك أصبحت الظاهرة واقعية ومملوسة بل وتشكل حجما يدعو إلى الاهتمام نظرا لأن لها سمات متفردة مثل نوع العمل وضالة الأجور علاوة على الأسباب التى تدفع إلى تشغيل الأبناء .

وقد زاد الاهتمام فى السنوات الأخيرة بمشكلة عمالة الأطفال والاهتمام العالمى بالطفل وصدور الوثيقة الخاصة بحقوق الطفل ، لذا اهتمت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة بدارسة هذه الظاهرة والعناية بها لأنها من الموضوعات التى يجب أن تدرس فى كافة المجتمعات لاسيما الفقيرة منها والتى ينتشر فيها أطفال الشوارع بشكل واضح ومملوس ، وقد ركزت هذه الدراسات على العمل الجبرى للطفل متضمنا الثقافة السائدة فى المجتمع .

* قسم الأنثربولوجيا - معهد البحوث والدراسات الأفريقية .

وعمالة الأطفال ليست مشكلة فى حد ذاتها بقدر ما يترتب عليها من مشاكل فالطفل الذى يعمل أعمالا بسيطة لا تعرضه لمخاطر صحية ولا تعوقه عن الاستمرار فى عملة فهذا العمل لا يسبب مشكلة ، أما العمالة التى تؤدى للعديد من المشاكل الجسيمة فهى قيام الطفل بالعمل فى أعمال ضارة بصحتة لاتناسب سنه وقدراته هذا مع ترك المدرسة والاتجاه للعمل فهذه هى المشكلة، ذلك لما يترتب عليها من نتائج سلبية واضرار كثيرة تعود على الطفل العامل وعلى المجتمع .

الإطار النظرى للدراسة :

نظرا للأهمية الكبيرة للفترة الأولى من حياة الطفل وتأثيرها المباشر على تكوينه الجسمى ونمو شخصيته طول حياته ، ونظرا لأهمية ظاهرة عمالة الطفل على المستوى الشخصى ومستوى الأسرة والمجتمع ككل، بدأ اهتمام الباحثة بهذا الموضوع ساعية فى دراستها التعرف على الأسباب الاجتماعية التى تدفع الطفل للعمل في بعض مجتمعات شرق إفريقية التى يختلف نسيجها الثقافى عن باقى المجتمعات ، وذلك بهدف توضيح الإيجابيات والسلبيات ومن ثم وضع بعض الحلول التى يمكن أن تساعد فى حل المشكلة .

وقد قامت الباحثة بدراسة ميدانية عن المراة والطفل فى كل من أوغندا وكينيا وتنزانيا كنماذج لمجتمعات شرق إفريقية بغرض التعرف على عمل كل من المرأة والطفل فى هذه الدول وقد إستغرقت الدراسة الميدانية عام .

وقد اعتمدت الباحثة على الملاحظة بالمشاركة من خلال إقامة الباحثة فى أوغندا وعمل زيارات لكل من كينيا وتنزانيا ، والاحتكاك المباشر بأعضاء هذه المجتمعات . كذلك تمت إجراء المقابلات الموجهة وغير الموجهة للحصول على البيانات .

وقد إستخدمت الباحثة المنهج الانتروبولوجى القائم على وصف وتحليل المادة الأثنوجرافية واختبار صحة الدراسات المتاحة عن المجتمعات المدروسة . كذلك إستخدمت الباحثة المنهج المقارن بغرض إجراء مقارنة بين المجتمعات التى درست

ميدانيا عن شرق إفريقية والمجتمعات الإفريقية الأخرى التى أتيحت عنها دراسات عن عمالة الأطفال مثل نيجيريا زيمبابوى - الكاميرون - ومصر بغرض التعرف على أثر القيم الثقافية على إنتشار ظاهرة عمالة الأطفال فى القارة الإفريقية .

ويحدد مفهوم الطفولة لدى الغرب بمحددات زمنية أو عمرية، لكن فى العديد من الثقافات لا يعتبر السن أساسا كافيا لتعريف الطفولة، بل يندرج تحت هذا المفهوم محددات إجتماعية تتمثل فى أداء بعض الطقوس الإجتماعية والمسئوليات التقليدية والتى تعتبر متطلبات ضرورية لتعرف وضع الإنسان كبالغ أو طفل، ولا ينظر إلى هذه المسئوليات على أنها أعباء تقع على عاهل الطفل، ولأنه قد تدرب عليها من خلال عملية التنشئة الإجتماعية بإشتراكه في الأنشطة والمهارات التقليدية التي تخدم الأسرة[١] .

ويعرف الطفل بأنه إنسان يحتاج لحماية من أجل نموه البدني والنفسي والفكري ، حتي يصبح بمقدوره الإنضمام لعالم البالغين ، إن وضع الطفل هو وضع فرد فى حاجة إلى رعاية تقدم من جهة الأسر ، وتقدمها من جهة أخرى مؤسسات تعليمية ، وإجتماعية فى ظل تشريعات وقوانين تعارف عليها [٢] .

وقد نص التشريع المصرى طبقا لقانون ١٣٧ لسنة ١٩٨١ مادة ١٤٣ على أنه يعتبر حدثا كل من الاناث والذكور البالغين أثنى عشر سنة كاملة ، ويحظر تشغيل أو تدريب الصبية قبل بلوغهم أثنى عشر سنة كاملة [٣] .

والطفولة هى مرحلة عمرية يمر بها الكائن وهى أكثر المراحل التى يتزايد فيها إحتياج الطفل للأسرة والمجتمع معا ، ذلك لعدم قدرته على الاعتماد على نفسه وتحديد مصيره ، كما أنها أكثر المراحل التى يمكن فيها التأثير على الطفل ، وتحويله من كائن بيولوجى لكائن إجتماعى يتصرف وفق معايير إجتماعية معينة تتطابق مع المجتمع المحيط به . أما عمالة الأطفال هى تشغيل الأطفال من الجنسين فى سن مبكرة ، وقد حرم القانون عمل الطفل دون سن الخامسة عشر لما لها من آثار سيئة على صحة الطفل

وعلى مستقبله ، ذلك لأن عمل الطفل فى سن مبكرة يحرمه من الاستمرار فى دراسته مما يؤثر سلبا على مستقبله .

ويشير مصطلح عمالة الأطفال إلى أشياء سلبية فى لغة بعض المجتمعات الإفريقية ففي اللغة الأمهرية (لغة أثيوبيا) يطلق على الأطفال العاملين في الشوارع Doorrya وتعنى لغويا شخص ينتمى إلي القفر أو الغابة ، أى أنه غير أليف ، وهذا يعنى أن هولاء الأطفال خارج نطاق السيطرة من الأسرة أو المجتمع .

أما فى Luganda لغة التحدث في معظم أوغندا يطلق علي طفل الشارع Muyaalye ويعنى بها الطفل المتشرد وذلك لأنه من المفترض أن يتلقى الطفل الرعاية الكاملة من العائلة بصرف النظر عن ميوله ورغباته (٤) .

وتشير عمالة الأطفال فى الدراسة إلى الأطفال من الجنسين من سن ٦ - ١٥ سنة ولا يشترط القيام بعمل معين على أن يكون الطفل قد أمضى فى العمل فترة لا تقل عن ٦ شهور (٥) .

وتشكل ظاهرة عمالة الأطفال مشكلة كبيرة ، حيث قدرت منظمة العمل الدولية عددهم عام ١٩٩٠ بحوالى خمسين مليون طفل، إلا أن هذا الرقم يقل عن الحجم الحقيقى لهؤلاء الأطفال ، وأن الرقم الحقيقى يتعدى فى العالم المائتى مليون طفل تقريباً(٦) ، وتحديد هذا الرقم صعب للغاية ، وذلك لعدم توفر الإحصائيات الدقيقة، فعظم هولاء الأطفال يعملون فى القطاعات غير الرسمية Informal sectors والتى لا توجد بيانات كافية عنها بالأضافة إلى ارتباط هذه الظاهرة بالتراث الثقافى والإجتماعى للمجتمعات .

وتشيع الظاهرة فى دول العالم النامى فى كل من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، بينما تكاد تخلو منها بلدان أوروبا وأمريكا وأستراليا واليابان ، وقد وصل حجم هؤلاء الأطفال فى بعض القارات مثل قارة آسيا حوالى ١١٪ من جملة عدد السكان؛ ففى الهند قدر عدد الأطفال العاملين بنحو ٤٤ مليون طفل، وفى إندونيسيا ٢.٧ مليون

طفل سنة ١٩٩٠ يعـملون فى ظل ظروف سـيـئـة للغـاية وأن هذا العـدد فـى زيادة مستمرة[٧].

أما فى الولايات المتحدة الأمريكية هناك نسبة قليلة من الأطفال الذين يعملون فى قطاع الزراعة ومعظم هؤلاء من المهاجرين ، أكدت الدراسات أن هناك ٢٥٪ زيادة فى حجم عمالة الأطفال فى سنة ١٩٩٠ بالمقارنة بسنة ١٩٨٠، حيث وجد أن هناك ١١ ألف طفل يعملون بطرق غير رسمية وفى غير سن العمل [٨].

ومما لا شك فيـه أن مواجهة المشكلة صعب للغاية ، فهى مشكلة اقتصادية بطبيعتها ، إلا أن لها آثاراً إجتماعية .

ويزيد الطلب على عمالة الأطفال فى الدول ذات الاقتصاديات المختلفة التى لم يتبلور اقتصادها بشكل كاف يمكنها من الاستغناء عن عمل الأطفال و فعلى الرغم من أن كثير من هذه المجتمعات تعانى من ارتفاع معدلات البطالة بين الرجال إلا أنها ينتشر فيها عمالة الأطفال ويمكن إرجاع ذلك إلى أنخفاض أجور الأطفال مقارنة بالشباب .

وتعد قارة إفريقيا من أكثر قارات العالم احتواء لهذه الظاهرة لمالها من إرتباط واضح ببنية المجتمع الإفريقى والأيديولوجيات السائدة فيه ، حيث تشير التقارير إلى حوالى ٢٢٪ من الأطفال يعملون من سن ١٠ : ١٤ سنة ويشكلون حوالى ٣ . ٢٦٪ من قوة العمل ، وتبلغ النسبة أعلى معدلاتها فى إقليم شرق إفريقيا ويمثل نحو ٩ . ٣٢٪ من قوة العمل، ففى كينيا وحدها تشكل عمالة الأطفال من سن ١٠ : ١٤ سنة حوالى ٣ . ٤١٪ من قوة العمل، وفى تنزانيا تبلغ النسبة ١ . ٤٢٪ من قوة العمل وفى أوغندا ٣ . ٤٥٪ من قوة العمل فى سنة ١٩٩٥. يليه إقليم غرب إفريقيا بنسبة ٢ . ٢٤٪ [٩].

ففى نيجيريا وحدها حوالى ٢٢ مليون طفل يشاركون فى قطاعات العمل المختلفة سواء الرسمية أو غير الرسمية يشكلون نسبة ٨ . ٢٥٪ من قوة العمل سنة ١٩٩٥ ،

كما أنه من بين ٢٥ دولة إفريقية هناك ٢٠ منها يعيشون فى حالة فقر وأن وضع هؤلاء الأطفال سيزداد سواء نتيجة الحروب والصراعات وأنتشار ظاهرة أطفال الشوارع بصورة أوسع ، وتجدر الإشارة إلى أنه خلال الفترة من ١٩٨٥ حتى سنة ٢٠٠٠ كانت هناك حاجة شديدة إلى تشغيل الأطفال فى سن صغيرة [١٠].

والجدول التالى يوضح النسبة المئوية للعاملين من الأطفال والشباب فى بعض الدول الإفريقية ١٩٩٣[١١] .

الدولة	الأطفال ٪ من جملة القوي العاملة	الشباب ٪ من جملة القوي العاملة
زمبابوي	٤٧	١٠
كينيا	٤٠	١٢
نيجيريا	٣٤	١٣
كوت ديفوار	٣٠	٧
أثيوبيا	٢٠	٧

من الجدول يتضح أن ارتفاع نسبة عمالة الأطفال مقارنة بالشباب ، حيث تبلغ أكبر معدلاتها فى زمبابوى بنسبة ٤٧٪ فى مقابل ١٠٪ من الشباب ، تليها كينيا بلغت النسبة ٤٠٪ مقابل ١٢٪ من الشباب ، ثم نيجيريا ٣٤٪ مقابل ١٣٪ من الشباب ، وقد بلغت النسبة ٣٠٪ فى كوت ديفوار مقابل ٧٪ من الشباب وكانت أقل هذه الدول هى أثيوبيا حيث بلغت النسبة ٢٠٪ مقابل ٧٪ من الشباب .

ويمكن إرجاع زيادة عدد الأطفال العاملين مقارنة بالشباب إلي أن عمل الأطفال يكون بأجور زهيدة مقارنة بالشباب علاوة على أن الأطفال يعملون فى الحرف التى لاتحتاج إلى الخبرة الفنية .

الملامح المميزة لظاهرة عمالة الأطفال :

تعد عمالة الأطفال ظاهرة عالمية تشمل كافة المجتمعات المتخلفة عامة وإفريقيا خاصة ، ويمكن أن نلاحظ على هذه الظاهرة الآتى :

أولاً : أن هناك علاقة عكسية بين درجة التقدم الاقتصادى وارتفاع نسبة عمالة الأطفال . ويمكن القول بأن استغلال الأطفال في العمل يعد نتيجة للعديد من المواقف المعقدة الناجمة عن قصور فى التنمية [١٢].

وترتبط فكرة عمل الطفل بتقاليد المجتمع واتجاهاته ، وبالرغم من تأثير الأسرة على قرار عمل الطفل ، فإن المسئولية تقع على المجتمع بأكمله ، فظاهرة عمالة الأطفال ليست منعزلة عما يدور فى المجتمع .

ويعرف العمل Work على أنه أي نشاط إنسانى يقوم به الفرد ويساعد على بقائه . أما العمالة Labour فيعنى بها أي نشاط بدنى أو جسمانى مخطط يكفل البقاء ويوجه إلى الإستهلاك مباشرة[١٣].

ويشمل مفهوم العمل جميع الأعمال الموجة أو غير الموجهة ويدخل فى إطاره أطفال الشوارع باعتبار أن مفهوم العمل أشمل من مفهوم العمالة . وتشتمل كل المجتمعات

الانسانية على نشاطات أساسية ونشاطات غير أساسية لكنها جميعا تساعد على بقاء الأفراد لذلك يمكن القول بأن أي نشاط إنساني يسمى عملا (١٤).

فالأطفال الذين يعملون وهم فى سن صغيرة فى أعمال المنزل أو المهام البسيطة والسريعة التى تؤول إليهم من قبل الآباء للمساعدة في العمل الزراعى تعد من المهام التقليدية الشائعة فى المجتمعات الزراعية ، ويتحمل الطفل من خلال هذه المهام المسئولية واكتساب المهارات التى تؤهله للدخول في جماعات الرجال ، ويشيع فى الولايات المتحدة واليابات تشجيع الأطفال على العمل لساعات قليلة لاكتساب الخبرة، والمهارة منذ الصغر على ألا تؤثر هذه الأعمال على طفولتهم . وهذه تسمى عملا وليست عمالة .

ومفهوم عمالة الأطفال أكثر تحديدا وضيقا من مفهوم العمل ، لأن مفهوم العمالة يرتبط بالأعمال التى يقوم بها الطفل في سن صغيرة لا تتعدى السنوات السبع الأولى من العمر بعيدا عن سلطة الآباء وسيطرتهم ، كذلك يعمل هؤلاء الأطفال لفترات طويلة تصل إلى حوالى ١٦ ساعة يوميا ويقومون بأعمال قاسية من الناحية الاجتماعية والنفسية مقابل أجور زهيدة (١٥). ويطلق على هؤلاء الأطفال أطفال الشوارع الذين يعملون في ظروف صحية غير مواتية ومن ثم تشكل خطورة كبيرة عليهم ، ويمكن إرجاع عمل الأطفال فى ظل هذه الظروف القاسية إلى انتشار الفقر وحاجة الأسرة إلى العائد الاقتصادى من عمل الطفل دون مراعاة للأضرار التى قد تلحق به لأن بقاء العائلة يكون بدعم كل عضو فيها .

ثانياً: تختلف عمالة الأطفال فى المناطق الريفية عنها في المناطق الحضرية ، لأن هناك اختلاف بين الأسر الريفية والأسر الحضرية فى الاتجاهات المتصلة بحجم الأسرة ، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة النشاط السائد فى الريف والذى يحتاج إلى عمالة الأطفال(١٦). ففى المناطق الريفية يعمل الأطفال لمساعدة الآباء فى أعمال الزراعة البسيطة أو فى تجارة الحاصلات الزراعية البسيطة مثل الكسافا والفول ، وهذا النمط

شائع في معظم دول شرق إفريقية مثل أوغندا وكينيا التى تتحمل فيها المرأة مسئولية العمل الزراعى ، ومن ثم تلجأ إلى الأطفال لمساندتها وتقوية مركزها الاجتماعى والاقتصادى ولايكون للأطفال عائد اقتصادى من هذه الأعمال ، وهناك ترابط واضح بين أنشطة العائلة الواحدة منذ بداية الاهتمام بمراقبة الحيوانات وجمع خشب الوقود وجلب مياه الشرب فى سن صغيرة ، وحتى تعلم بذر البذور فى مراحل متأخرة .

وتعمل العائلة فى المناطق الريفية كفريق واحد متكامل فى عملية تجارة وتسويق الحاصلات الزراعية ، فهذه تعد من المهام الصعبة التى تحتاج إلى أن تبدو فيها العائلة كوحدة إجتماعية اقتصادية واحدة ، ويعمل الأطفال فى نطاق العائلة، وهذا النوع من العمل يعد إمتدادا طبيعيا لعملية التنشئة الاجتماعية فى إطار النسق الإجتماعى والاقتصادى السائد فى المجتمع . ففى منطقة جازانكولو شرق الترنسفال وهى منطقة زراعية يعمل سكانها بالزراعة ، تختلف النظرة العامة لعمل الأطفال وفقا للسن كذلك الوضع الاقتصادى والاجتماعى للعائلة ، فيظل الشاب فى عداد الأطفال إذا كان غير متزوج كذلك الحال بالنسبة للفتيات ومن ثم تتحدد المهام المخولة إليه فى هذه الفترة لأن هؤلاء الأطفال يشكلون عبئا أقتصاديا على العائلة ، ومن ثم يكون عليهم التزاماً إجتماعياً تجاه العائلة كنوع من الوفاء وبالدين نظير التربية فتقوم الفتيان بمهام الرعى بالأضافة إلى أعباء البيت، أما الذكور فيقومون بالمساعدة فى بناء المنازل، ويختلف عمل الأطفال فى العائلات التى تتمتع بوضع اقتصادى واجتماعى أفضل حيث يكون هناك فائضا اقتصاديا ومن ثم يتمتع هؤلاء الأطفال بمرحلة الطفولة (١٧) . من خلال تأدية الدور الطبيعي للطفل وهو اللعب فى السن الصغيرة وتوفير الحياة الملائمة له .

وتختلف عمالة الأطفال فى المناطق الحضرية عنها فى المناطق الريفية ، حيث يعمل الأطفال فى المناطق الحضرية فى أعمال يتقاضون من خلالها الأجور مثل العمل في منازل الأغنياء أو فى المصانع الصغيرة غير الرسمية ويكون ذلك من خلال الأسرة فى الحالة الأولى، ويظل هولاء الأطفال فى العمل دون معرفة المدة التى سوف يقضونها أو

حتى مقدار ما يتقاضونه منها لأن العائد النهائى يكون للأسرة ، كذلك لا يختلف الحال كثيرا فى القطاع غير الرسمى فعندما تكون الأسرة على دراية بهذا العمل يكون العائد لها أيضا .

والسبب الرئيسى لعمالة الأطفال فى الحضر هو الفقر الشديد ورغبة ذات الدخل المحدود فى زيادة دخلها حيث أن الأطفال يشكلون عبئا كبيرا على كاهل الأسرة لاسيما إذا زاد عدد الأطفال فى الأسرة وهو ما يحدث غالبا ، ولكن هذا ليس السبب الوحيد ، فعديد من الأطفال يعملون نتيجة لبفشل فى الدراسة والتسرب منها فى مراحل مبكرة. وهناك علاقة معقدة بين العمل والمدرسة لا سيما فى المجتمعات الفقيرة ، فالأطفال فى هذه المجتمعات يحتاجون إلى العمل والحصول على الأجر أكثر من حاجتهم للذهاب إلى المدرسة وذلك لواجهة متطلبات المعيشة الملحة ،ومع ذلك يعمل الأطفال فى بعض المجتمعات الإفريقية من أجل المدرسة والاستمرار فيها ، ففى كينيا تبلغ تكلفة المدرسة للطفل الواحد حوالى ٢٠٠٠ شلن كينى أى حوالى ٧٠ دولار سنوياً ، وهذا يشكل عبئا كبيرا على الأسر الفقيرة ، ومن ثم يعمل الأطفال الفقراء فى الشوارع للكسب والحصول على المال لدفع تكاليف المدرسة والاستمرار فيها (١٨).

ولا يختلف الحال كثيراً فى أوغندا عن كينيا حيث يعمل الأطفال كباعة جائلين فى الأسواق اليومية أو الأسبوعية أيام الأجازات لمواجهة متطلبات الدراسة .

ثالثا : تختلف نوع الأعمال وفقاً للجنس والنوع فهناك أعمال تقوم بها الفتيات وأعمال أخرى يقوم بها الفتيان ، ففى المناطق الريفية تتحمل الفتاة المسئولية وتقوم بالأعباء والمهمات المنزلية مع الأم مثل العناية بالصغار ، وهذه من المهام الرئيسية التى تقع على عاتق الفتاة فى معظم مجتمعات شرق إفريقية لأنها تعد إمتدادا لدور الأم فى الأسرة وتمهيدا لإعداد هذه الفتاة لأن تصبح هى الأخرى أما مسئولة فى المستقبل من خلال هذه التدريبات المبكرة . أما فى المناطق الحضرية تفضل الأسر عمل الفتاة فى الخدمة فى منازل الأغنياء كما هو الحال فى مصر ، أو العمل فى بيع الحلوى فى

الميادين العامة، أو العمل فى الحانات الليلية مقابل الحصول على مبالغ كبيرة لسد إحتياجات الأسرة والفتاة معاً دون مراعاة للتقاليد أو القيم الدينية أو لسن الفتاة التى لا يتعدى الثالثة عشر من عمرها . ويشيع هذا النمط فى كثير من مجتمعات شرق إفريقيا كما هو الحال فى أوغندا وكينيا ، أما الذكور فتختلف نوع الأعمال المخولة إليهم إبتداء من العمل فى الشوارع وبيع المنتجات الصغيرة مثل بيع المشغولات الخشبية التى تتميز بالمهارة الفنية ويشيع هذا النمط بين الأطفال التنزانيين ، وحتى العمل فى المصانع الصغيرة فى الأعمال غير الفنية (١٩).

رابعاً: هناك إتجاه آخر لتحديد أنواع العمالة وتقسيمها وفقاً للسن على اعتبار أن هناك مهام مقسمة بدقة بين أعضاء الجماعة الواحدة ، فما يقوم به الصغار دون العاشرة يختلف عن ما يقوم به الأطفال الأكبر سنا أو الشباب أو حتى كبار السن ، وهذا التقسيم يسير وفق خطة محكمة ودقيقة تحددها عملية التنشئة الإجتماعية وذلك بغرض إحداث التوازن فى المجتمع ، ويختلف هذا التقسيم من مجتمع لآخر ، ففى نيجيريا نجد أن الطفل الصغير من سن السابعة وحتى العاشرة تناط به أعمال بسيطة مثل شراء المواد الغذائية من المتاجر القريبة ، بينما هذه الأعمال لا يعهد بها فى مجتمعات أخرى إلا للأطفال الأكبر سنا والأكثر قدرة على تحمل المسئولية ، كما أن النظرة للمولود الأول تختلف عن باقى الآبناء خاصة المولود الأخير ، فالطفل الأول عند قبيلة الهوسا فى نيجيريا يعهد برعايته إلى أقاربه لتربيته وتنشئته بعيداً عن الأسرة وللتاكيد على دور الجماعة القرابية فى الأعداد لمرحلة الشباب ، وفى نفس الوقت يتحمل باقى الأطفال فى الأسرة مسئولية العمل وتوفير الدخل المناسب للأنفاق على الأسرة (٢٠).

وهذا نتيجة تأثيرهم بالعرب والمسلمين ، فقد كان الرسول ﷺ، يدرب أطفال المسلمين منذ الصغر على تحمل المسئوليات فى مجال الأعمال المختلفة لتنمو شخصيتهم، ويعتمدوا على أنفسهم فى تحمل أعباء المعيشة ، وإنجاز الأعمال الهامة

التى تتطلبها منهم الدعوة الإسلامية فى الدفاع عنها ونشرها بين الناس ، ومن ناحية أخرى أعتماد كل منهم على نفسه فى إتخاذ مهنه له يكسب منها رزقه ولا يكون عاله على غيره وطريقة الرسول ﷺ هى تطبيق لأحدث نظريات التربية المبنية على معرفة عميقة بعلم نفس الطفل ، التى تدعو لإتاحة الفرصة للأطفال منذ نعومة أظافرهم لممارسة بعض الأعمال التى يدرجون فيها على تحمل أعباء الحياة ، ولا يجوز الاستمرار فى الاعتماد على الأسرة في تلبية حاجاتهم المختلفة وعدم تكليف أنفسهم ببذل أى جهد وتحمل أى صعوبة حتى مرحلة الشباب وهذا ما يجعلهم عاجزين على مواجهة الصعوبات فى المستقبل(٢١).

الدوافع الأنثروبولوجية لظاهرة عمالة الأطفال فى أفريقيا

لاقت دراسة عمالة الأطفال فى المجتمعات الأفريقية إهتماماً بالغاً لدى الأنثروبولوجيين لإرتباط الظاهرة بالقيم السائدة فى هذه المجتمعات، لذلك إرتبطت العوامل والأسباب المؤدية لظاهرة عمالة الأطفال بخصوصية المجتمع وظروفه لأنهما تسهمان فى تشكيل نوعية الحياة .

وفى مجال البحث عن العوامل التى تسهم فى إحداث ظاهرة عمالة الأطفال يتعين أولاً التمييز بين العوامل التى ترتبط بالظاهرة إرتباطاً مؤثراً فى ترتيبها وإحداثها وبين الظروف والعوامل الأخرى التى تحيط بالظاهرة ويقتصر أثرها على خلق المناخ المناسب أو الميسر لتفاعل العوامل المؤثرة فى إحداث الظاهرة .

وقد تتعدد العوامل التى تتصل بالظاهرة الإجتماعية وعندئذ يثور التساؤل عن مدى إرتباطا كل منها وتأثيره فى الظاهرة وتنقسم الآراء إلي مذهبين أحدهما يذهب إلى أن كل عامل يعتبر متكافئاً مع سائر العوامل الأخرى ، وبالتالى تكون كل العوامل على قدم المساواة فى تأثيرها ، ويرفض المذهب الثانى فكرة المساواة بين العوامل ، ويرى ضرورة البحث عن العوامل المنتجة أى الملائمة والمؤدية إلى إحداث الظاهرة .

أولاً: العوامل التى تحيط بظاهرة الأطفال وتعمل على خلق المناخ المناسب لها فى القارة الأفريقية.

(١) **العوامل السكانية :** يسعى البعض إلى الربط بين عمالة الأطفال وبعض الظواهر السكانية مثل إرتفاع معدلات الإنجاب والهجرة من الريف للحضر بالإضافة إلى نظام تعدد الزوجات وهو الشكل السائد للزواج فى افريقيا .

فلقد أكدت الدراسات الديموجرافية الحديثة على أن الشكل الحالى للسكان فى القارة الإفريقية جنوب الصحراء يعكس عدة مؤشرات هامة منها أن هناك ٣٩ دولة

جنوب الصحراء تعدادها حوالى ٤٠٩ مليون نسمة ١٩٩٥ ، وأن هناك زيادة حوالى ٩ر٢٪ سنوياً متوسط (١٩٨٠ - ١٩٩٥) ، والسبب الرئيسى لهذه النسبة المرتفعة هى إرتفاع معدلات المواليد بشكل واضح مع إنخفاض معدلات الوفيات ويمكن إرجاع ذلك إلى الزواج المبكر للفتاة حيث تتزوج الفتيات فى سن صغيرة ومن ثم تكون أكثر قدرة على الإنجاب وتكراره لعدة مرات (٢٣).

ويختلف سن الزواج فى إفريقيا من مجتمع إلى آخر ويتراوح عامة ما بين سن ١٧ - ٢٤ سنة ، ويدخل الرجال الحياة الزوجية فى سن متأخر نسبياً عن النساء فأقل معدل سن زواج للرجال تم تسجيله فى النيجر ٢١ سنة ، حيث تتزوج النساء فى غرب إفريقيا مبكراً عن الرجال ، على خلاف ما هو قائم فى معظم الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء حيث تتزوج النساء فى سن أكبر نسبياً ، وفى غرب افريقياً نجد أن فرق السن بين الرجال والنساء عند الزواج لأول مرة يعتبر أكبر ما يكون ، حيث يبلغ فى المتوسط ٨ر٤ سنة ، بينما تمثل جنوب إفريقيا أعلى سن للزواج فى أول مرة لدى كل من الرجال والنساء ، ويمكن إرجاع ذلك إلى هجرة العمالة فى الصناعات التعدينية (هجرة داخلية) بالإضافة إلى إنتشار التعلم ، ومن ثم يمثل عائقاً لتكون أسرة جديدة فى سن مبكرة علاوة على الوعى الزائد بالمقارنة بالمناطق الأخرى (٢٤).

وترتفع نسبة المواليد بشكل واضح فى هذه المجتمعات فى ظل نظام البدنة والقرابة الممتدة التى تعتمد على نظام الإنحدار ، وقد بلغ معدل المواليد والذى يعكس مستوى الخصوبة فى القارة ٢ر٤٪ ويتباين هذا المعدل من دولة إلى أخرى ، وتعد العوامل التى تقف إلى جانب ارتفاع معدلات المواليد فى إفريقية مثل قيمة عمل الطفل ونقص الضمان الإجتماعى بالإضافة إلى المتغيرات الإجتماعية والثقافية التى تؤثر على ارتفاع معدلات المواليد مثل الزواج المبكر، وممارسة الضغوط الإجتماعية على الأرامل فى سن الإخصاب للزواج مرة أخرى (٢٥).

ويعتبر الطفل فى ظل نظام البدنة إمتدادا لها ، ومن ثم فكثرة الإنجاب تعمل على

تقوية وحدة البدنة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية فى مقابل البدنات الأخرى ، ويتربى الطفل من خلال النظام القرابى السائد على أنظمة تقليدية ثابتة مثل أنظمة القرابة والزواج والنسب وأيضاً إمتلاك الأرض ، بالإضافة إلى نقص المعرفة والفقر الشديد ، وكلها عوامل يمكن أن تؤدى إلى عدم الدراية بحقوق الأطفال .

وهناك إرتباط كبير بين إرتفاع معدلات الإنجاب والنظام الدينى السائد فى بعض المجتمعات الإفريقية ، حيث يعتبر إنجاب إرضاء لأرواح الأسلاف وامتداداً لهم ، وأن عدم الإنجاب يعتبر غضب من الأرواح تجاه أعضاء البدنة ، لأن الأطفال لايعتبرون امتداداً لآبائهم البيولوجيين فقط ، لكنهم إمتداداً للبدنة والتمركز حول الجماعة القرابية(٢٦) .

لذلك فإن أهم ما يميز الأسرة الأفريقية بصورة عامة هى كبر الحجم بالمقارنة بالمجتمعات الأخرى على اعتبار أن الأطفال قيمة كبيرة لا يمكن التخلى عنها ، لهذا تبقى الوظيفية الإنجابية هى أهم الوظائف سواء فى الريف أو الحضر على الرغم من تدنى الأوضاع الإقتصادية بدرجة لاتسمح بهذه الزيادة الكبيرة والتى تشكل عبئاً على هذه الظروف المتدنية وعبئاً أكبر على أى محاولة جادة للتنمية الإجتماعيبة والإقتصادية فى هذه المجتمعات .

ومع اختلاف الظروف والأوضاع بين الدول الإفريقية إلا أن سيادة المفاهيم الخاصة بقيمة الأبناء تبقى هى الوظيفة الأساسية للأسرة فى ظل نظام العائلة الممتدة السائدة فى الريف فى بعض دول شرق القارة مثل أو غندا وكينيا وتنزانيا كذلك فى نيجيريا الذى تتدفق منه أعداداً كبيرة من الأطفال إلى المدن ، ومن ثم يشكلون عبئاً كبيراً على هذه المدن الفقيرة .

ويعد موضوع الهجرة من الريف إلى الحضر من الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة والمؤثرة على وضع الأسرة فى القارة الافريقية ، ويعنى بها هنا الهجرة الداخلية للبحث عن عمل فى المدينة ذات الأوضاع الأفضل ، وهذه الهجرات تعتبر هجرات اختيارية ومؤقتة وترجع أساساً إلى العامل الإقتصادى وزيادة الدخل ، وتكون فى الغالب من

جانب الذكور دون الإناث وهنا يترك الرجل الأطفال فى رعاية الزوجة وأيضاً يترك لها قطعة الأرض التى يمتلكها ، ومن ثم تتحمل المرأة مسئولية الأبناء والأرض ، ويقوم الأطفال معها بالمهام الخاصة بالزراعة على أن تقوم الفتيات بالأعمال الخاصة بالمنزل ورعاية الرضع(٢٧) .

(٢) إنخفاض المستوى التعليمى للأسرة

ويقوم التعليم بدور أساسى فى خفض معدل الانجاب ، فالأم المتعلمة هى أكثر الأمهات قدرة على التحكم فى ضبط الإنجاب ، وهو أمر يرجع فى جانب منه إلى التعلم نفسه، والجانب الآخر طبيعية النشاط الذى يفرضه التعلم على المرأة ، وطبيعة الوضع المتميز الذى تحظى به داخل المجتمع المحلى خاصة المجتمع الريفى(٢٨) .

وتختلف العلاقة بين الخصوبة والعمل بأختلاف المراحل التى تمر بها المرأة خلال دورة حياتها ، ومن المحتمل أن نجد نمطاً معيناً من العمالة كالعمل الزراعى أو العمل فى التجارة الصغيرة يشجع على مزيد من الإنجاب ، حيث ينظر إليه على أنه أحد مصادر الدخل الأساسية فى الأسرة(٢٩) .

ويؤدى تدنى المستوى التعليمى للأباء والتحاق الأغلبية منهم بأعمال حرفيه أو يدوية مع تدنى الدخل، كل هذه العوامل أثرت على إرسال الأبناء للعمل من أجل تعلم صنعة تفيدهم ، لذا يتضح أن الأباء الذين لم ينالوا قسطاً من التعليم لايبذلون أى محاولة للتغلب على الصعوبات التى تواجه أطفالهم فى التعليم ، لأن قيمة التعليم لديهم ليست قوية أو غير معروفة .

(٣) البيئة الأسرة :

تزعم بعض الآراء أن عمالة الأطفال تعتبر نتاجاً لبيئة أسرية متصدعة أو غير مواتية وتستمد هذه الآراء اتجاهاث من نظريات سادت الفكر الغربى فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، إذ ذهبت إلى نفى مسئولية المجتمع عن المشكلات الإجتماعية التى تعانيها بعض الفئات ، وعلى وجه الخصوص الفقراء ، فذهب البعض مثل أوسكار لويس إلى وجود ما يسمى بثقافة الفقر ، وهى ثقافة تتوارثها الأجيال ويتشكل بها الطفل فى سن مبكرة ، وتتعذر عليه الفكاك من خصائصها(٣٠) .

ويعد نظام تعدد الزوجات من الأنظمة السائدة فى المجتمعات الإفريقية والمعرفة بالزواج البوليا جمى Polyagmy أى تعدد الزوجات للرجل الواحد ، وفى ظل هذا النظام التعددى تعتبر المرأة هى المسئولة عن البيت وهناك أسباب لذلك وهى :

١ – الإعتماد الإقتصادى الكامل على النساء كمصدر للعمل والدخل للأسرة ، حيث تتولى المرأة مسئولية العمل فى أرض الزوج ولها فيها حق الإنتفاع فقط دون أن يكون لها حق الملكية ، ويكون ذلك بزراعتها فى ظل المالك الرئيسى وهو الرجل ، الذى يلجأ إلى الزواج بأكثر من واحدة لزراعة مزيد من الأرض لتقوية وضعه الإقتصادى داخل جماعته القرابية ويسود هذا النظام معظم الدول الإفريقية جنوب الصحراء .

٢ – فى ظل تعدد الزوجات تكون النتيجة المتوقعة هى زيادة عدد البيوت التى ترأسها المرأة ، ومن ثم تقوم كل زوجة بالمحافظة على وضعها فى العائلة الممتدة من خلال العمل بجدية فى زراعة الأرض ، وإنجاب العديد من الأطفال لمساعدتها فى المهام الصعبة التى تؤول إليها فى مواجهة الزوجات الأخريات فى العائلة ضماناً للسيطرة على الأرض والإستمرار فى الزواج لذلك فإنها تشرك الأطفال فى العمل .

٣ – فى ظل هذا النظام ترتفع نسبة الطلاق فى أجزاء عديدة من القارة ، لذلك تكون المرأة أكثر حرصاً على إنجاب الأبناء لتقوية مركزها الاجتماعي والاقتصادي ، وحتي يظل لها حق الأنتفاع بالأرض بعد الطلاق في ظل وجودالأبناء لأنهم إمتداد لبدنه الزوج .

ثانياً العوامل المؤدية لعمالة الأطفال في أفريقيا

نتناول في هذا الجزء العوامل الرئيسية المؤدية لعمالة الأطفال والتي تسهم بشكل فعال في أستمرار الظاهرة ودعمها في إفريقيا . وهذه العوامل أما عوامل مرتبطة بالحروب والصراعات القائمة في القارة أوعوامل اقتصادية .

(١) الحروب والصراعات الأهلية المنتشرة في القارة :

تعد الحروب والصراعات الأهلية المنتشرة في القارة الأفريقية من العوامل المؤثرة بشكل واضح علي أنتشار ظاهرة عمالة الأطفال وتدني الأوضاع المعيشية للطفل

الأفريقي لأن معظم النازحين والاجئين من النساء والأطفال ، ويكون النزوح إلي الأماكن الآمنة داخل نفس البلد للنجاة من الموت ويبقي الرجال في مناطق الخطر ، وأحياناً يرسل الأطفال دون النساء ، والنتيجة تدفق أعداد كبيرة من الأطفال إلي المدن الكبري. ومع الأخذ في الإعتبار إنتشار الفقر ومعدلات البطالة يكون هؤلاء الأطفال أكثر عرضة للعمل في الشوارع من أجل بقائهم علي قيد الحياة مع أنعدام فرص التعليم أو الخضوع لنظم تعليم جديدة تسهل عملية التسرب الدراسي .

كذلك يلجأ الأطفال إلي النزوح إلي البلدان المجاورة مثلما يحدث في منطقة القرن الأفريقي ، وقد تسبب الخبرات التي تعرض لها الأطفال أثناء الحروب ، والظروف التي عاشوا فيها في المناطق المتأثرة بالحروب كنازحين من تفاقم مشكلاتهم النفسية ، وأحد النتائج الرئيسية للحرب علي الكثير من الأطفال هي فقدانهم أوطانهم ، وهذا يعني فقدان الرموز الثقافية والهوية وأنماط السلوك المألوفة بالإضافة إلي فقدان الكثير من العلاقات التي بنوها علي إمتداد حياتهم ، كما يعاني حتي الأطفال الذين بقوا في المناطق المتأثرة بالحروب من تشوش في الرموز الثقافية ، مع مرور هؤلاء الأطفال بخبرات مؤلمة تبقي في الأذهان فتسبب لهم الأضطرابات نتيجة الأنفصال عن الأبوين في سن صغيرة ، وقد تساهم الحياة في مناطق النزوح واللجوء في تعقيد مشكلات الأطفال، حيث لا تتوافر في هذه المناطق المكونات الضرورية لعملية التأهيل الاجتماعي Socialization بسبب الضغوط الإقتصادية وتشوش الأنماط الثقافية نتيجة تعدد الجماعات العرقية ، وتضافر كل هذه العوامل معا مسببة إنحراف الأطفال وخروجهم إلي العمل في الشوارع بعيدا عن سيطرة الأسر ة من أجل توفير أدني متطلبات الحياة الضرورية(٣١) .

(٢) العوامل الاقتصادية :

من المعروف عالمياً أن السبب الرئيسي لعمالة الأطفال في الدول النامية يرجع إلي الفقر إذ أن الأطفال الفقراء يواجهون مشكلات إقتصادية ثقيلة ، وتنتشر عمالة الأطفال بصفة أساسية في الطبقات الفقيرة في الريف والحضر حيث يعتبر الطفل

العامل مصدراً للدخل بالنسبة لأسرته كما أن سوء الأوضاع الإقتصادية لكثير من الآباء لا سيما في المناطق الريفية قد حال دون إرسال أبنائهم إلي المدارس بصفة منتظمة، كما أسهمت الأنماط التقليدية المرتبطة بالزراعة والتي تقضي بإستخدام الأطفال في بعض أنواع العمل الزراعي إلي تشجيع الآباء في عدم إنتظام الأطفال في المدارس أو الإنقطاع التام عنها .

وينتمى الأطفال العاملون غالبا آباء يمثلون الفئات الدنيا في القوي العاملة ، فمعظم الآباء من عمال الخدمات أو من صغار المزارعين كما هو الحال في مصر ، وتتفاوت دخولهم بحسب ظروف سوق العمل ، غير أن العامل المؤثر الذي يدعم هذه الأجور نسبياً يتمثل في تعدد إسهامات أفراد الأسر دعماً من أكثر من عضو من بين أعضاء الأسر الذي يشير إلي أهمية دور الأبناء في دعم دخل هذه الأسر . وتتميز الأسر الفقيرة بالتماسك ، وتربية أفرادها علي الشعور بالمسئولية تجاه الأسرة ، وعلي الإيمان بالتكامل فيما بينهم .

أما الاعتبار الاقتصادى الآخر الذى يسهم فى إقبال الأطفال على العمل فهو اعتبار شخصى يتمثل فى رغبتهم فى الحصول على مال ينفقونه على احتياجاتهم الخاصة ذلك أن الطفل يحصل على جزء من أجره لتغطية نفقاته للنزهة فى يوم الإجازة أو شراء مايلزمه .

بالإضافة إلى أن إسهام الطفل يعتبر عنصرا هاما له وزنه فى دعم ميزانية الأسرة التى تنتمى للفئات العمالية الدنيا ، إلا أنه فى بعض الحالات ، تؤدى عمالة الأطفال دورا حيويا فى إعالة الأسر ذات الدخل الضئيل ، وعندئذ يكون أجر الطفل بمثابة المصدر الوحيد أو الأساس للدخل يكفل إعالة الوالدين ـ أو أحدهما ، ويوفر الاحتياجات الأساسية التى يعجز الكبار عن توفيرها(٣٢) .

وهناك مظهر آخر من مظاهر عوز الأسر التى تفتقد الوالد وتعيش فى كنف الأم فقط ، ومن ثم تحتاج هذه الأسر إلى عمل الأطفال لدعم ومساعدة الأم فى تربية باقى الأسرة .

من خلال تحليل الابنية الاجتماعية لبعض المجتمعات الإفريقية يمكن القول بأن هناك علاقة وثيقة ومتبادلة بين النظام الاقتصادى السائد فى هذه المجتمعات وتولى المرأة مهمة البيت والأطفال من ناحية وبين إنتشار عمالة الأطفال وتفاقمها من ناحية أخرى ، ففى بعض أقطار غرب إفريقية نجد أن المرأة لا تتولى المسئولية كاملة داخل البيت لأن الأقارب هم المسئولون عن هذه المهمة بينما تتولى المسئولية الاقتصادية كاملة، أى أن المسئولية الاقتصادية ترتبط بوضع المرأة الزواجى ، وهذا يعكس لنا أهمية إنجاب الأطفال لأنهم يعتبرون قوة اقتصادية تستمد منها المرأة وضعها الاقتصادى والإجتماعى بعيدا عن سيطرة بدنه الزوج .

ومع زيادة معدلات الإنجاب فى ظل هذه النظم التقليدية الراسخة لا تنظر هذه المجتمعات إلى مصير هؤلاء الأطفال الذين يشكلون ضغطا كبيرا على اقتصاديات هذه البلدان الفقيرة ... لذا كانت النتيجة الحتمية لذلك هو انتشار عمل الأطفال ونزوحهم إلى المدن الكبيرة للعمل فى الشارع ، فإذا أضفنا إلى ذلك الحروب الأهلية والمنازعات داخل القارة الإفريقية التى تؤدى إلى إتساع حدة المشكلة وتفاقمها فى معظم بلدان القارة الفقيرة .

ولتوضيح ذلك نذكر أن عدد اللاجئين فى القارة الإفريقية فى الفئة العمرية من ٥ - ١٧ سنة بلغ حوالى ٦.٧ مليون لاجئ ، من جملة عدد اللاجئين فى العالم من نفس الفئة العمرية البالغ عددهم ١٤.٢ مليون لاجئ بنسبة حوالى ٣٢٪ (٣٢) . ويواجه هؤلاء الأطفال مشكلات عديدة نتيجة تشردهم وإنفصالهم عن أسرهم فى معظم الأحيان، قيامهم بالأعمال الخطيرة التى لا تناسب السن أو خبرة هؤلاء الأطفال وتعرضهم للمجاعات ، ومن ثم إصابتهم بالأمراض الصحية والإجتماعية الخطيرة .

عمالة الأطفال فى أوغندا :

قدر عدد السكان فى أوغندا بحوالى ١٩ مليون نسمة ١٩٩٥ ، يعيش حوالى ١٠٪ منهم تحت خط الفقر ، ويعيش حوالى ٣٠٪ من السكان فى المدن التى تحوى

العديد من المناطق العشوائية والعشش التى تعد مأوى لأطفال الشوارع ، وفى ظل الظروف الأقتصادية غير المواتية وعدم توافر فرص العمل يشكل طفل الشارع مشكلة حضرية فى أوغندا (٣٤) .

وبالإضافة إلى الظروف الاقتصادية القاسية التى تتعرض لها أوغندا فقد تعرضت أوغند منذ منتصف ١٩٨٠ لحروب وصراعات وحركات للمتمردين شكلت أيضا عبئا إضافياً على ميزانية الدولة مما كان له أثره على إنتاج المزيد من أطفال الشوارع ففى مبالى البالغ عدد سكانها حوالى ٥٣ ألف نسمة هناك أكثر من ٤٠٠٠ طفل يعملون فى الشارع، وفى مدينة بوسيا على حدود كينيا وأوغندا شكل أطفال الشوارع نسبة من السكان وكانوا نتاجا للحروب والفقر معاً .

والجدول التالى يوضح أعداد الأطفال العاملين فى الشوارع فى بعض المدن الرئيسية فى أوغندا سنة ١٩٩٥.

المنطقة	عدد الأطفال
كمبالا	٥٠٠٠
مبالي	٤٠٠٠
سورتي	٣٠٠٠
كومي	١٨٠٠
جولو	١٢٠٠
ليرا	٩٦٠
جنجا	٨٠٠
أجانجا	٦٠٠
جملة	**١٧٣٦٠ طفل**

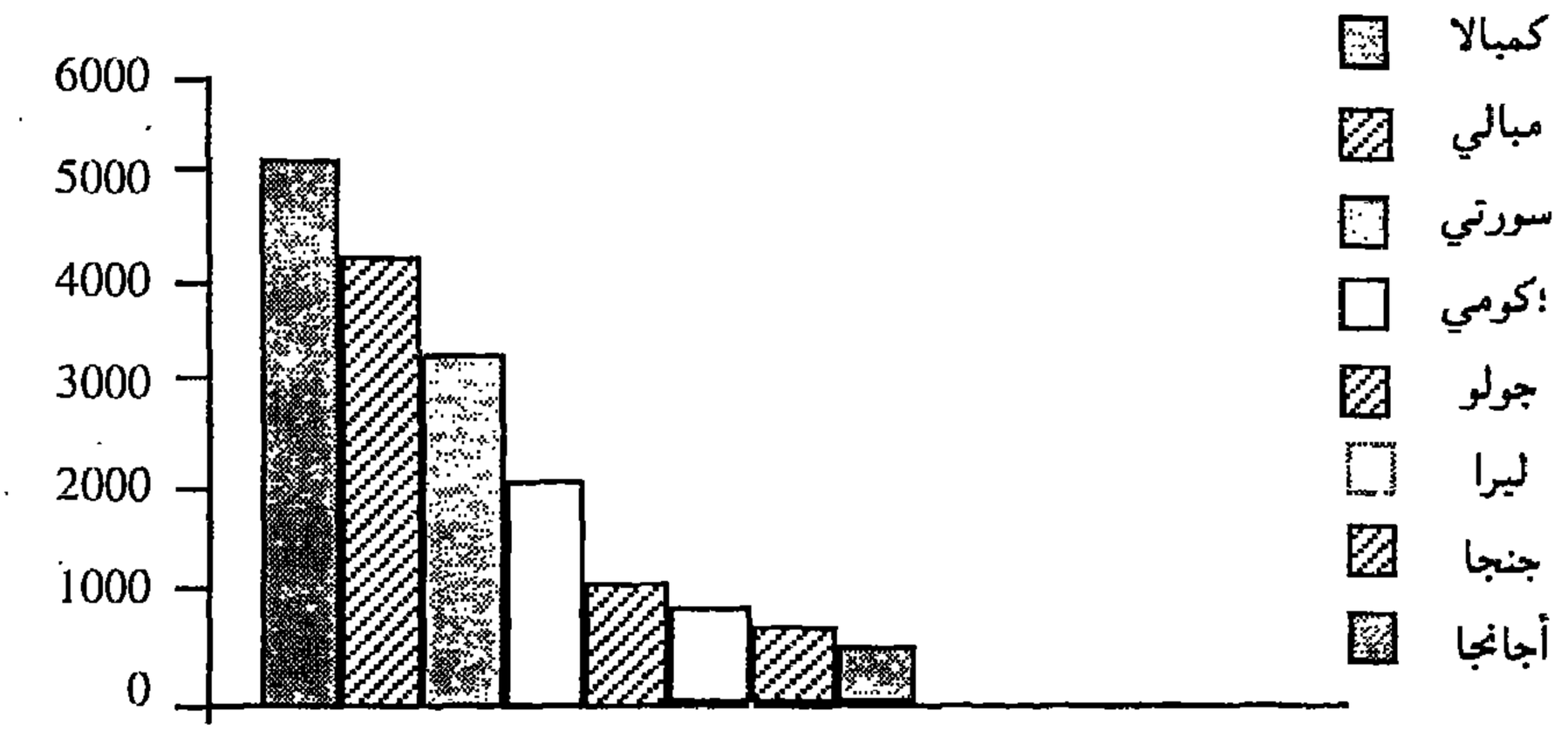

من استقراء الجدول السابق والشكل البيانى واضح أن هناك تبايناً كبيراً فى نسبة عمالة الأطفال بين المدن الأوغندية المختلفة ، وإن كنا نستطيع القول بأن هناك علاقة طردية بين حجم المدن وارتفاع نسبة عمالة الأطفال ، فمثلاً تأتى كمبالا العاصمة كأكبر وأهم المدن الأوغندية سكاناً وهى فى نفس الوقت أكبرها أحتواء لأطفال الشوارع إذ تضم بمفردها أكثر من ثلث أطفال الشوارع فى المدن الأوغندية .

ويمكن تصنيف الأطفال العاملين فى الشارع فى كمبالا إلى ٤ مجموعات :

١ - الأطفال الذين يعملون ويعيشون فى الشارع بصفة دائمة .

٢ - الأطفال الذين يعملون فى الشارع ويعودون إلى بيوتهم ليلاً .

٣ - الأطفال العاطلون ولكنهم يقضون معظم أوقاتهم فى الشارع ولا يعملون شيئاً.

٤ - الأطفال الذين يذهبون إلى المدارس صباحا ويعملون فى الشوارع فى أوقات أخرى غير أوقات المدرسة.

ويشيع فى المجتمع الأوغندى نظام تعدد الزوجات ومن ثم يعد هذا النظام الأساسى الأول لكثرة عدد الأبناء فى البيت الواحد الذين يشكلون عبئا إضافيا على دخل الأسر فى ظل الظروف الإقتصادية القاسية ، كذلك تنتشر بين الشباب ممارسة الجنس بطريقة

غـيـر شرعـيـة تؤدى إلى إنجـاب أبنـاء ليس لهم مأوى سـوى الشـارع ، لذا تعـد أوغندا ضمن أكبر عشرة أقطار فى العالم فى أرتفاع معدل الإصابة بالإيدز [٣٤] . لـذلـك فليس من الغريب أن نجد بيوتا كثيرة يرأسها الأطفال الايتام نتيجة موت الآباء بالإيدز ويشيع ذلك النمط فى كمبالا التى تحوى أكبر نسبة للأطفال المشردين فى البلاد .

وتعد الهجرة من الريف إلى المدن عاملا هاما لانتشار ظاهرة عمالة الأطفال فى أوغندا عـامـة وكـمـبـالا خاصـة، فعندمـا تفشل البـيـئة الزراعـيـة فى سـد الاحتيـاجات الضرورية للعائلة الريفية الكبيرة العدد ذات الدخول المنخفضة تقوم بإرسال الأطفال للعمل فى المدن وهى طريقة مثالية ـ من وجهة نظرها ـ لمواجهة الصعوبات الإقتصادية .

ويتـعـرض الطفل المهـاجر من الريف إلى المدينة لأزمـة مزدوجة تتـمثل فى كـيفـيـة أندماجه مع بيئة المدينة الجديدة لا سيما أنه ينتقل إليها بمفرده والأزمة الأخرى نتيجة إنفصاله عن العائلة .

بالإضـافـة إلى ذلك يعـانى العـديد من أطفـال الشـوارع فى كـمـبالا من الإهمـال والتشتت نتيجة لانتمائهم لبيئات أسرية متصدعة نتيجة إنفصال الأبوين والقليل من هؤلاء الأطفـال يرجـعـون عـملهم فى الشـوارع إلى حب المغـامـرة وإهمال العـائلة لهم أو معاملتهم معاملة سيئة .

ويبدأ الأطفال بعد أنتقالهم من الريف إلى المدينة فى العمل لمساعدة عائلاتهم . هنا يصبح الخطر محقق فى أن يكونوا أطفالا للشوارع يشكلون مشكلة حقيقة ، لأنهم بعد فترة ينقطعون عن إرسال المساعدة إلى العائلة، وتعكس رؤيتهم الخاصة بذلك أنهم إنقطعـوا عن الاتصـال بأسرهم نتيـجة المعاملة السيـئة والإهمـال ، ومن ثم لا يجـدون ضرورة للقيام بأى التزام إجتماعى أو مادى تجاه أسرهم .

وتشـكل الإناث حـوالى ٢٥٪ من أطفـال الشـوارع فى أوغندا ، وهذا لا يعنى أن أعداد الإناث قليلة بالنسبة للذكور ، ويرجع ذلك إلى أن الفتيات تتدرب منذ الطفولة على المهام الأساسيـة للمرأة ممثلة فى رعاية الصغار والقيام بأعمال الزراعة البسيطة فى حديقة المنزل وهذه المهام لا تستغنى عنها الأسرة بل ترعاها وتدعمها باستمرار حتى

تنتقل الفتاة إلى أسرتها الجديدة بعد الزواج، لذلك نجد أن أعداداً قليلة من الفتيات هن اللائى تهجرن منزل العائلة للعمل فى الشوارع .

وتمارس الفتيات اللائى انتقلن إلى الشارع للعمل فى سن صغيرة الأعمال البسيطة فى الأسواق اليومية أو الأسبوعية مثل سوق الوندجية فى وسط العاصمة كمبالا وسوق نكاسيرو وفى سوق كبالاجالا على أطراف العاصمة ، وهذا السوق يجمع بين الأطفال من أوغندا وتنزانيا للاتجار فى المشغولات الخشبية، وأكثر من ذلك نجد كثير من الفتيات تفترش الشوارع لبيع البضائع البسيطة مثل الحلوى والصودا والبسكويت والكسافا المشوية بالإضافة إلى البطاطس والذرة، وتعمل بعض الفتيات اللائى تجاوزن الثانية عشر فى الدعارة والخدمات المصاحبة لها فى مقابل المأوى والغذاء .

كذلك تعمل بعض الفتيات كجليسات أطفال لدى الأغنياء ، ومعظم الدخل ينفق فى شراء الملابس والعطور وهذه هى أكثر أهتمامات الإناث ويرجع ذلك إلى عدم إمتلاكهن بيوتا ينفقون عليها من جانب ولأنها تمثل جذباً للرجال من جانب آخر .

ومن ناحية أخرى فإن الذكور يمثلون النسبة الأكبر من أعداد الأطفال العاملين فى الشوارع ، ومن ثم ينتشر هؤلاء الأطفال فى كل الميادين العامة ومواقف التاكسى والأتوبيسات وفى الفنادق الكبرى والبارات كذلك تنتشر أعداد كبيرة منهم فى الأماكن المعزولة ويعملون فى أعمال غير قانونية مثل السرقة وهؤلاء يعانون من المشاكل الحقيقية لأطفال الشوارع..

ويعمل هؤلاء الأطفال فى نظافة الشوارع ونظافة الفنادق كذلك كمنادين فى مواقف السيارات ، ومعظم هذه الأعمال لا تحتاج إلى التعليم أو الخبرة ، وهؤلاء يمثلون الأطفال الذين يعيشون فى الشواع بصفة دائمة .

أما الأطفال الذين يعملون فى بعض الأعمال الخدمية مثل تنظيف المحلات التجارية وفى محلات الجزارة ويقضون معظم اليوم فى الشارع ثم يعودون ليلا إلى بيوتهم وإعطاء معظم دخلهم للأسر للمساهمة فى تكاليف المعيشة للمساهمة ومعاونة الأم فى تربية باقى الأبناء وتعليمهم .

والفئة الأخيرة من الأطفال الذين يذهبون إلى المدرسة صباحا ويعملون بالشارع ليلا لمواجهة متطلبات الدراسة وشراء الأدوات الدراسية ويعمل هولاء الأطفال فى تنظيف المحلات التجارية وبيع السجائر والبيرة فى الميادين العامة أو بالعمل كمضفين فى الملاهى أو فى بيع الخمور فى البارات .

والأطفال العاملون فى شوارع كمبالا هم نتاج لأسر كثيرة العدد مع ضغط الظروف الاقتصادية وعدم استطاعة الأسر سد الاحتياجات الأساسية لأعضائها ، بالإضافة إلى إنتشار مرض الإيدز بصورة كبيرة نتيجة إنتشار القيم الثقافية الخاطئة .

لذا يتعرض هؤلاء الصغار لمخاطر عديدة نتيجة الإقامة المستمرة فى الشارع والممارسات الجنسية الخاطئة بين هؤلاء الأطفال ، إضافة إلى الظروف الصحية القاسية نتيجة الإقامة فى الشارع أو فى محطات السكك الحديدية أو فى عشش من الصفيح سيئة التهوية . وكثيرا ما يتعرض الأطفال لهجوم الشرطة والقبض عليهم .

صورة لفتاة تعمل جليسة أطفال في أحد البيوت الأوغندية

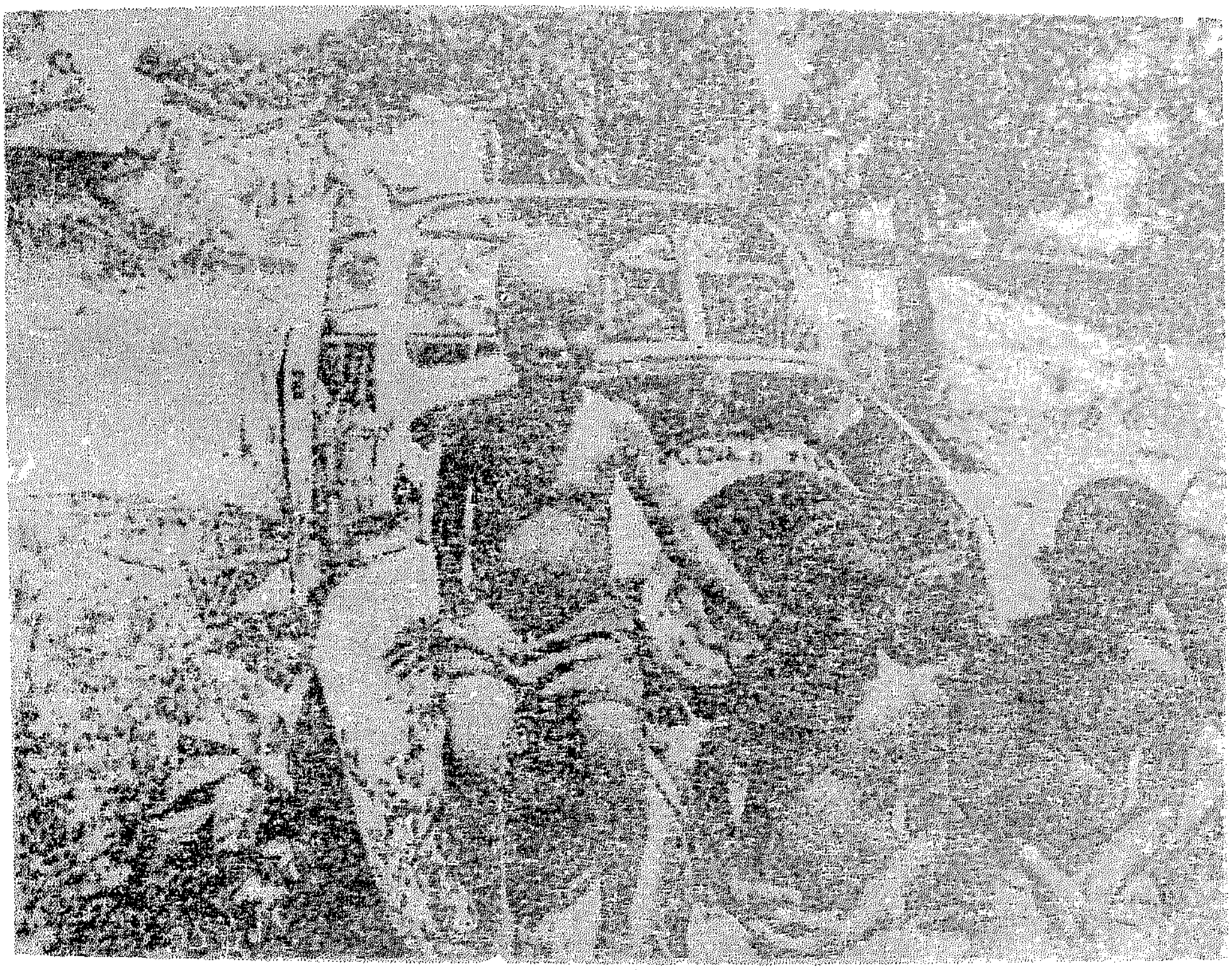

صورة لأطفال يقيمون في الشارع في كمبالا

أما فى كينيا : تنتشر عمالة الأطفال فى كينيا بصورة واضحة ، فيشكل الأطفال العاملون حوالى ٣ . ٤١٪ من جملة الأطفال فى الفئة العمرية من سن ١٠ - ١٤ سنة، وفقا لاحصائيات ١٩٩٦ بانخفاض حوالى ٤٪ عنه فى سنة ١٩٧٠ (٣٥) .

وتنتشر ظاهرة أطفال الشوارع بدرجة كبيرة فى العاصمة نيروبى حتى أنها أصبحت تشكل مشكلة إقتصادية وسياسية بجانب البعد الاجتماعى، وأنتشرت على أثرها الجريمة بشكل واضح فى الشارع الكينى ، وهذه المشكلة هى نتاج ظروف ثقافية وإجتماعية .

ويقدر أعداد أطفال الشوارع فى نيروبى بحوالى ١ . ٥ مليون طفل سنة ١٩٩٤، وتضمنت هذه التقديرات أعداد الأطفال العاملين فى المؤسسات غير الرسمية بالإضافة إلى أطفال الشوارع (٣٦) .

ويشمل أطفال الشوارع كل من الإناث والذكور ، ولقد أشارت الدراسات إلى أن نسبة الذكور تفوق الإناث حيث وصلت نسبة الذكور حوالى ٩١ ٪ من الأطفال العاملين فى شوارع نيروبى، ويرجع أرتفاع نسبة الذكور إلى أن هناك قيودا تفرض علي الإناث أكثر من الذكور ، وفى بعض مجموعات الأطفال تكون نسبة الإناث مساوية لنسبة الذكور نتيجة لهروب الفتيات من الأسرة للبحث عن عمل يوفر لها ما تحتاج إليه من ملابس وغيرها .

وينضم الذكور إلى أطفال الشوارع فى سن الخامسة ، مع ترددهم على الأسرة ، ثم ينفصلون إنفصالا كاملا عن أسرهم فى سن العاشرة أو الثانية عشر وذلك نتيجة الظروف الاقتصادية القاسية التى تعانيها الأسرة ومسئولية هؤلاء الأطفال تجاهها حيث يقومون بإرسال جزء من دخلهم إلى الأم لمواجهة نفقات المعيشة والإنفاق على باقى الأطفال فى الأسرة .

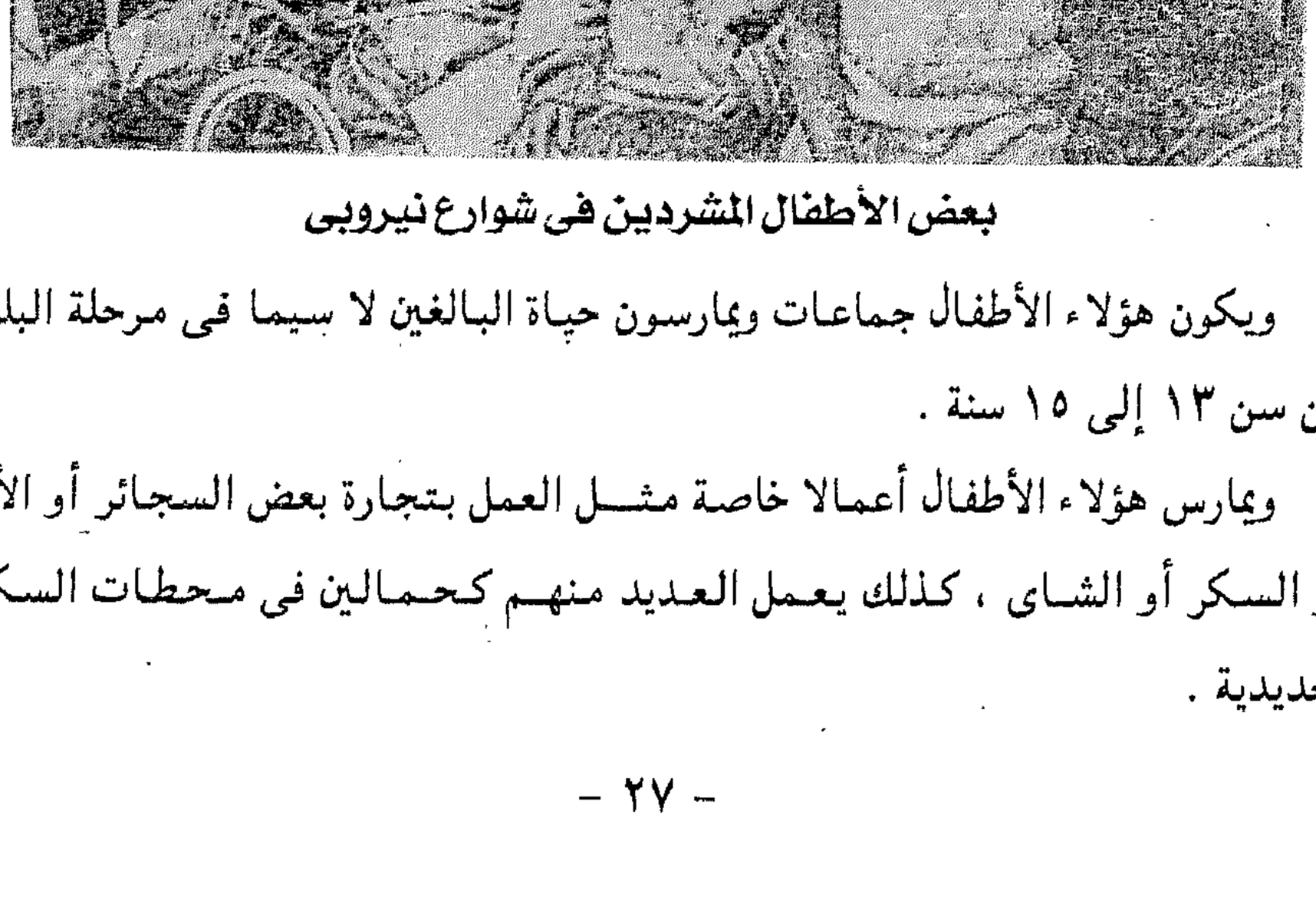

بعض الأطفال المشردين فى شوارع نيروبى

ويكون هؤلاء الأطفال جماعات ويمارسون حياة البالغين لا سيما فى مرحلة البلوغ من سن ١٣ إلى ١٥ سنة .

ويمارس هؤلاء الأطفال أعمالا خاصة مثل العمل بتجارة بعض السجائر أو الأرز أو السكر أو الشاى ، كذلك يعمل العديد منهم كحمالين فى محطات السكك الحديدية .

وتبدأ الفتيات حياة العمل فى الشارع فى سن متأخر نسبيا عن الذكور ليس قبل سن العاشرة وحتى الثالثة عشر، وتكون الفتاة فى هذه المرحلة العمرية على دراية كاملة بأنها قد أصبحت أمرأة كاملة لذا تفضل الإناث العمل فى الحانات أو الدعارة للحصول على دخل كبير يمكنها من شراء احتياجاتها وعلى الرغم من أن الذكور يرسلون جزءاً من الدخل إلى الأم إلا أن الفتيات تحتفظ بالنقود وذلك لانفصالها عن الأسرة إنفصالا كاملا .

ويعيش الأطفال فى جماعات لكل جماعة قوانينها الخاصة المنظمة لها ويأخذ الذكور بعض الفتيات العاملات فى الشارع كزوجات لهم لا يحق لهن الاختلاط بالذكور من خارج المجموعة . وتمارس الفتيات فى المجموعة الدعارة من أجل توفير متطلبات الحياة الضرورية دون أن يجد الذكور ضررا من ذلك . ولا تكون بين الإناث جماعات قوية مثل الذكور .

ويرتبط الذكور بالأسرة بعلاقات قوية وخاصة الأم ، فهناك العديد من الأطفال الذين يقيمون فى الشوارع بصورة مؤقتة ويعملون فى بعض المشروعات الصغيرة يقطعون حوالى ٣ ساعات للوصول إلى بيوتهم للمساهمة فى دخل الأسرة بإعطاء دخلهم إلى الأم أسبوعيا .وعلى الجانب الآخر لا تعرف الإناث عن إسرهم سوى القليل .

وبتحليل نظام الأسرة عند الأطفال العاملين فى شوارع نيروبى أتضح أن معظم هؤلاء الأطفال من أسر ترأسها المرأة أى بدون آباء إما نتيجة إنفصال الأم عن الأب أو أن الأمهات أصلا غير متزوجات لذا فإن البيئة الأسرية غير المواتية شجعت الأطفال على الخروج للشارع في سن مبكرة لمواجهة متطلبات الحياة ولأن الطفل لا يجد الدافع للتمسك بهذه الأسرة لذلك يفر بعيداً عنها بحثاً عن مجال خارجى فيه تعويض عما أفتقده من أمن داخل أسرته .

وبتحليل النظام القرابى للمجتمع الكينى ، أتضح أن القرابة تسير فى خط الذكور أى من جانب الأب Patrilineal Kinship ، وبالتالى فالخصوبة العالية للمرأة

تقوى من مركزها الإجتماعى والأقتصادى لا سيما أن الأطفال يرثون الأرض لأنهم إمتداد لبدنة الزوج ، ومن ثم تهتم كل بدنة بخصوبة المرأة سواء من جانب بدنة الزوج أو الزوجة ، وذلك لأن استمرار الإنجاب يعنى أستمرار الحياة الزوجية وتأكيدا لوضع ومكانة المرأة(٣٧) .

وفى دراسة لاثنين من المجتمعات المحلية بالقرب من نيروبى واللذان يصدران الأطفال إلى العاصمة بدرجة كبيرة ، المجتمع الأول هو مجتمع Murang الريفى والآخر مجتمع ، Kiambu الحضرى ويتبع المجتمعان قبيلة الكيكويو .

ويقوم الاقتصاد فى مجتمع مورانج الريفى على الزراعة ، على أن يمتلك كل بيت قطعة صغيرة من الأرض تعطى إنتاجا محدودا من البن أو الموز كمحاصيل نقدية ومصدراً للدخل بالإضافة إلى المحاصيل المعيشية مثل الذرة والفول السودانى والكسافا ، إلى جانب ذلك فإنه لا يوجد سوى عدد قليل من المزارع ومن ثم فإن فرص العمل محدودة ، بل وضئيلة للغاية ، وفى ظل نظام الانحدار فى خط الأب نجد أن إنجاب الأبناء بكثرة هو السمة الرئيسية السائدة فى المجتمع والتى تعمل على تكامل الجماعة القرابية ، وبعد هذا مورثا ثقافيا لدى أعضاء المجتمع .

ويتحقق ذلك بانتشار ظاهرة تعدد الزوجات فى المجتمع والذى تختلف عن البناء الأسرى القائم على المونوجامية الذى ينتشر فى العاصمة نيروبى(٣٨) .

ويسير نظام الميراث التقليدى فى خط الذكور إذ مات الرجل وليس له أبناء تؤول الثورة إلى الأخ الكبير ، وتكون مسئولية المرأة الرئيسية هى إنجاب مزيد من الأطفال حتى لا تؤول الثروة إلى جماعة الزوج فى حالة وفاة الزوج وبالتالى لا يمكنها البقاء فى بدنة الزوج ، ومن ثم يتضح أن الأطفال هم وُحدة إقتصادية وإجتماعية تعطى للمرأة الوضع والمكانة فى المجتمع . لذا نجدا أن متوسط عدد الأطفال فى الأسرة الواحدة حوالى ٦ أطفال لكل زوجة . ومع إنعدام فرص العمل نتيجة لقلة الأرضى، يترك هؤلاء الأطفال أسرهم ويبحثون عن فرص عمل كالتزام إجتماعى Social obligation تجاه الأسر ، وأيضا لتوفير حاجاتهم الضرورية ، ويكون الاتجاه دائما إلى العاصمة نيروبى وذلك لقرب المسافة منها ، حيث لاتبعد سوى ٣ ساعات .

ويختلف الأمر عند جماعة Kiambu الحضرية ، فتقسيم العمل يسير وفق خطة محكمة ودقيقة تقوم على التعاون بين الزوج والزوجة والأبناء ، مع الأخذ فى الإعتبار أن كثرة الإنجاب هى السمة المميزة للجماعة ، كما يسود النظام الليفراتى (زواج الأخ بأرملة أخيه) وبالتالى مزيد من الأطفال داخل العائلة الواحدة يمثلون أمنا إقتصادياً .

ويقوم النشاط الإقتصادى فى مجتمع كيامبو على الزراعة بالإضافة لأعمال أخرى مثلى التجارة والأعمال البسيطة ، حيث تشكل الزراعة حوالى ٢٨٪ والنسبة الباقية للتجارة والأعمال الأخرى ، ونظراً لقرب مجتمع كيامبو من العاصمة حيث يبعد عنها حوالى ساعة واحدة فقط يرسل الأطفال إليها للحصول على دخل يومى للعائلة يوفره لهم الأطفال ، على أن يعودوا فى نهاية اليوم للإقامة مع الأسرة(٣٩) .

وفى ظل النظام الإجتماعى عند كل من الجماعتين القائم على تعدد الأطفال مع ندرة الموارد ، كان الإتجاه إلى العاصمة هو أفضل السبل لتوفير النقود ، ففى المجتمع الأول الذى يبعد ٣ ساعات عن العاصمة يقيم الأطفال بصفة دائماً فى الشارع ولا يعودون إلا على فترات متقطعة ، ويعمل هؤلاء الأطفال فى الأعمال البسيطة فى القطاع غير الرسمى الذى يقوم بإستغلال هؤلاء الأطفال أسوأ استغلال ، حيث يعمل الأطفال فى المصانع الصغيرة لفترات طويلة وبأجور زهيدة وهذا يشكل عبئاً كبيراً على هؤلاء الأطفال من الناحية الصحية ، كذلك يعمل هؤلاد الأطفال فى الشارع فى مواقف السيارات وبيع الحلوى ويكون مكان الإقامة الدائم هو الشارع، ومن ثم تنعدم لدى هؤلاء الأطفال أدنى سبل الحياة علاوة على إنتشار الأمراض بصورة كبيرة وخاصة الأمراض المعدية نتيجة إختلاط هؤلاء الأطفال بصورة دائمة وما يتبعها من الممارسات الجنسية الخاطئة التى تفتك بحياة هؤلاء الصغار .

أما فى تنزانيا : وفى دار السلام تعد عمالة الأطفال شكلاً هاماً من أشكال التنشئة الإجتماعية على اعتبار أن المجتمع ينظر إليها على أنها عملية تربوية فى المقام الأول تعد الطفل لمرحلة الرجولة .

وتحاط دار السلام بعدد من المجتمعات الزراعية منها منطقة تانجا Tanga والتى تبعد حوالى ٢٠٠ كيلو متر شمال دار السلام، وعدد سكان تانجا حوالى ١ر٣ مليون نسمة سنة ١٩٨٨ ويشكلون حوالى ٧٪ من سكان تنزانيا ، وتعد هذه المنطقة المصدر الأول لعمالة الأطفال فى دار السلام .

ويمكن إرجاع السبب فى إنتشار الأطفال العاملين فى العاصمة إلى الظروف الإقتصادية والحاجة إلى مزيد من الدخل للأسرة ، لذلك يشجع الاباء الأطفال على العمل وتأكيد قيمته عند الطفل كالتزام إجتماعى وكضرورة للأعداد لمرحلة الشباب .

وتختلف تنزانيا عن معظم الدول الإفريقية النامية فى أن نسبة الإنتظام فى التعليم فى المرحلة الإبتدائية عالية نسبياً ، ففى سنة ١٩٩٣ بلغت نسبة الإنتظام فى المرحلة الابتدائية حوالى ٧١٪ للذكور، ٦٩٪ للإناث في منطقة تانجا، وكان عمر الإلتحاق بالمدرسة سن ٧ سنوات وحتى الثالثة عشر أي أن عملية التنشئة الإجتماعية تؤكد على قيمة التعليم والعمل معاً وهما من المهارات المتداخلة لدى الأطفال فى دار السلام ، بل أنها تشكل ضرراً بالغاً بالتنمية البشرية على إعتبار أن العمل عبء على قدرات الطفل الصحية والعقلية(٤٠) .

وعلى الرغم من التأكيد على قيمة التعليم إلا أن الأطفال الذين إنخرطوا فى سوق العمل تسربوا من المدارس لعدم قدرتهم على الجمع بين التعليم والعمل . وأيضاً لاختلاف المناخ الثقافى فى المدرسة عن مناخ بيئة العمل . كذلك فإن التعليم الأساسى لا يعد الطفل لمواجهة ظروف ومتطلبات البيئة التى يعيش فيها .

وترفع نسبة الذكور العاملين فى الشوراع بالمقارنة بنسبة الإناث حيث تسند إلى الفتاة مهام البيت ورعاية الأطفال ، كذلك لأن طبيعة الأعمال المتاحة فى سوق العمل فى دار السلام لاتناسب الفتاة ، حيث يعمل الذكور فى الصناعات الصغيرة الحكومية مثل المنتجات والأشغال المعدنية، والصناعات الخشبية ، كذلك ينتشر الأطفال فى المصانع الصغيرة غير الرسمية على أطراف دار السلام، ولايجد المجتمع ضرراً من ذلك لأن هؤلاء الأطفال لا يشكلون خطورة حقيقة على المجتمع، دائماً تكمن الخطورة فى الأذى البدنى والعقلى الذى يتعرض له هؤلاء الأطفال فى سن صغيرة .

ويبلغ متوسط عدد ساعات العمل للأطفال من سن ٧ - ١٤ سنة حوالى ٨ ساعات يومياً ، مضافاً إليها الساعات التى يقضيها الطفل فى المدرسة ومن ثم يشكل هذا عبئاً كبيراً على إمكانيات الطفل ، كذلك فطبيعة الأعمال التى يقوم بها تتطلب مهارات خاصة كالنحت على الخشب أو المعادن ، لذلك نجد أن معظم الأطفال يفضلون ترك المدرسة والإستمرا فى العمل لأنه يدر دخلا كبيراً للطفل ولأسرته .

ولا يقتصر عمل الأطفال على الأعمال اليدوية ، لكنه يتعدى ذلك إلى مهمة البيع، حيث ينتشر هؤلاد الأطفال فى مناطق تجمع الأجانب فى دار السلام لبيع المنتجات الخشبية أو المعدنية، ويملك الطفل المهارة والخبرة فى عملية البيع لأنه تدرب عليها منذ بداية عمله ولأنه يعلم أنها السبيل الوحيد لإستمراره فى العمل .

ويقطع الأطفال مسافات كبيرة لبيع منتجات المصانع الصغيرة التى يعملون بها ، حيث يتوجهون بمصنوعاتهم الخشبية والمعدنية التى تحتوى على الكثير من النقوش والزخارف المحلية والتى تمثل مناظر من البيئة الطبيعية والنباتية والحيوانية إلي مناطق تجمع السائحين لتسويق هذه المنتجات ولعل من أهم مناطق الجذب منطقة جبال كلمنجارو وقد يتم خلال هذه الرحلات عبور الحدود السياسية إلى الدول المجاورة حيث يعبر بعضهم حدود أو غندا لعرض منتجاتهم فى سوق كبالاجالا على أطراف كمبالا العاصمة .

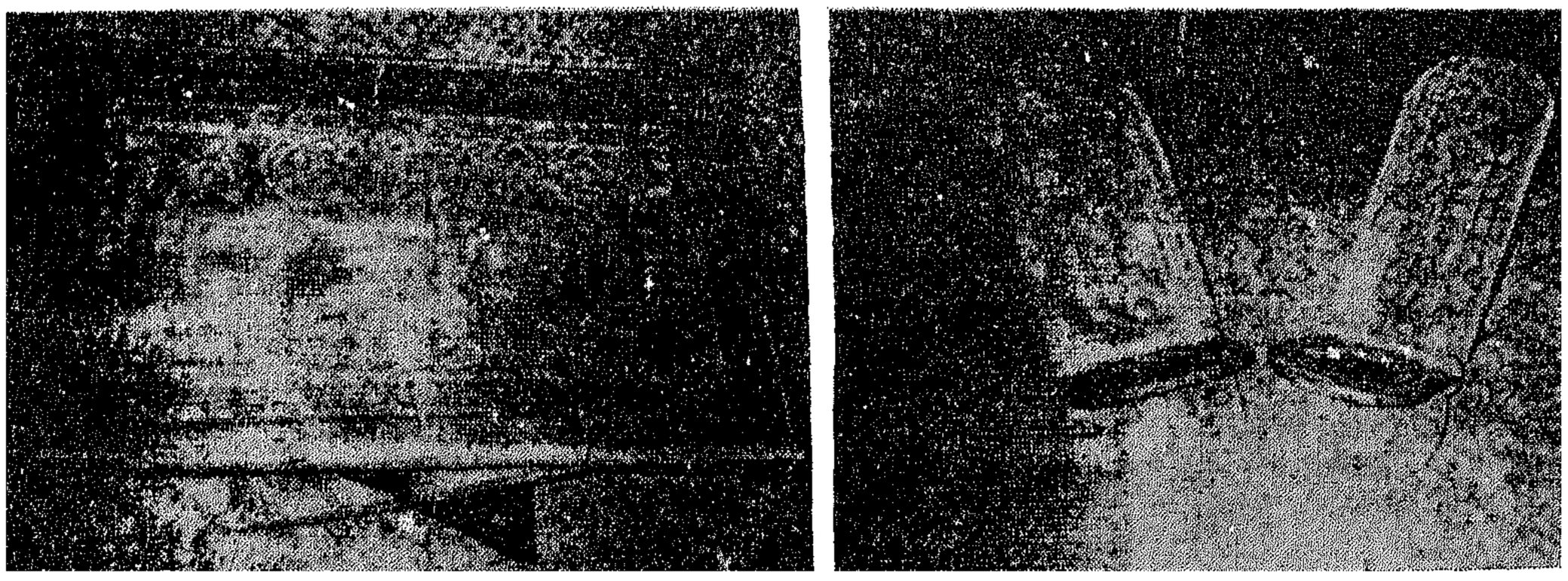

بعض المشغولات الخشبية اليدوية التي يقوم الأطفال التنزانيون بتسويقها في أسواق كبالاجالا

وتلعب القيم الثقافية التقليدية في تنزانيا دوراً هاماً فى إنتشار مرض الإيدز بصورة واضحة أثرت فى المقام الأول على الطفل الذى يجد نفسه بدون رعاية نتيجة وفاة الأب أو الأم ، أو مسئولاً عن باقى أفراد الأسرة وهو فى سن صغيرة لا تتعدى سبع سنوات لذلك ينتشر نوع آخر من عمالة الأطفال فى دار السلام وهو أطفال الشوارع وهؤلاء يعملون فى بعض الأعمال الصغيرة التى لا تحتاج إلى الخبرة والمهارة مثل جمع القمامة أو تنظيف السيارات وهؤلاء الأطفال يشكلون خطورة بالغة على المجتمع لأن مكان إقامتهم فى الغالب هو الشارع وما يفرزه إختلاط هؤلاء الأطفال من إنتشار الجريمة والمخدرات مثل إستنشاق البنزين وشرب الكحول وكلها تشكل خطورة بالغة على الطفل والمجتمع .

وسوف أعرض لعمالة الطفل فى البلدان الإفريقية التى أتيحت دراسات عنها .

أولاً : زيمبابوى (هرارى)

تعتبر هرارى العاصمة من المدن الإفريقية التى لاقت اهتماماً من جانب الباحثين حول ظاهرة عمالة الطفل .

ويبلغ عدد سكان زيمبابوى حوالى ١٠ مليون نسمة ، يعيش أكثر من ربع السكان فى المناطق الحضرية ، و ١٤ ٪ من السكان فى مدينة هرارى وحدها ، ويعانى الإقتصاد من التضخم نتيجة الأزمات التى تتعرض لها البلاد من جراء الجفاف ومن ثم تفشل دائماً خطط التنمية الإقتصادية، علاوة على ذلك فإن القيم الثقافية السائدة قد ساعدت على نمو مشكلة عمالة الطفل بصورة كبيرة، وإذا أضيف ذلك إلى إنتشار فيروس الإيدز بصورة كبيرة مما يعكس حقيقة هامة هى أن الأطفال عند موت الآباء نتيجة مرض الإيدز يكونون بدون عائل ، ومن ثم يؤدى ذلك إلى الزيادة فى أعداد الأطفال المشردين أو أطفال الشوارع(٤٢) .

ويتضمن عمل الطفل فى هرارى نوعين **هما الأطفال المشردين** تشرد دائم والمصابين بالمرض أيضا الذين يعيشون باستمرار فى الشارع بعيدا عن سيطرة الأهل، **أما النوع الثانى** فهم الأطفال المشردين تشردا مؤقتا الذين يقضون معظم الوقت فى

الشارع ثم يعودون إلى أسرهم بعض الوقت، ويدخل هؤلاء تحت فئة الفقراء حيث أنهم يعملون لبعض الوقت لزيادة دخل الأسرة لأنهم يعتبرون مصدرا أساسيا للدخل .

أما أطفال الشوارع الذين يقضون حياتهم فى الشوارع باستمرار لعدم وجود عائل ينفق عليهم أو وجود بيوت تحميهم ويعرف هؤلاء الأطفال محليا باسم mutibumba أى المشردين ومعظم هؤلاء قد وفدوا من موزمبيق من خلال معسكرات شرق زيمبابوى للجوء أثناء الحروب، ويعمل هؤلاء الأطفال فى مواقف السيارات أو كحمالين أو كباعة جائلين، ويتخذون من محطات السكك الحديدية أماكن للإقامة والنوم .

إلا أن عمل الأطفال الزيمبابويين يختلف عن هؤلاء الأطفال المشردين من موزمبيق، حيث يعملون فى الأعمال الحرفية الماهرة مثل إصلاح السيارات(٤٣) .

على الجانب الآخر يعانى عدد كبير من أطفال الشوارع فى هرارى من فقدان الانتماء إلى الأسرة نتيجة زواج الأب بزوجة أخرى، واعتنائه بالزوجة والأطفال الجدد ، وهذا النمط شائع ليس فى هرارى وحدها بل وفى معظم المجتمعات الإفريقية ، وعلى الجانب الآخر تلجا الأم إلى الزواج من رجل آخر أو الاستعانة بأطفالها لتوفير أدنى سبل المعيشة، وتكون النتيجة الحتمية لذلك هو لجوء الأطفال إلى الشوارع للاحتماء بها دون رقابة أو رعاية من الأسرة، ويشيع بين هؤلاء الأطفال تعاطى المخدرات والكحوليات ومن ثم يضطرون للعمل فى الشوارع لسد احتياجاتهم الضرورية منها .

ويعمل هؤلاء الأطفال فى الأعمال البسيطة ذات الدخول الضئيلة التى تناسب مستوى إقامتهم فى الشوارع مثل حراسة السيارات ويزاولون السرقة التى تمثل نمطا شائعا نتيجة الفقر، وبالتالى يجد هؤلاء الأطفال عملا يوفر لهم قدرا ضئيلا من النقود بجانب توفير مكان للنوم بجانب السيارات .

ويشجع أصحاب المحلات التجارية هؤلاء الأطفال على العمل كباعة جائلين لحسابهم ويعد هذا مظهراً من مظاهر الاستغلال يمثل خطورة على الأطفال لأن يعودون إلى محطات السكك الحديدية بعد قضاء يوم العمل بالشارع وهم منهكين تماما. وهذا يشكل مظهراً سيئا يضر أساسا بصحة الطفل(٤٤) .

ومن هنا تحمل مشكلة عمل الأطفال فى هرارى نتائج عديدة خطيرة ، فعلى الرغم من أن هؤلاء الأطفال يشكلون مصدراً أساسيا للدخل فى الأسر الفقيرة التى تحتاج إلى تعاون كل فرد فيها ، إلا أن هناك جوانب أخرى للمشكلة أكثر حدة تتمثل فى إصابة هؤلاء الأطفال بالأمراض الخطيرة نتيجة قضاء معظم الوقت أو كله فى الشوارع بدون رقابة ، والاختلاط الدائم مع غيرهم ، لذا ينتشر الإيدز بصورة كبيرة حتى أنه من بين خمسة أو ستة أطفال هناك طفل مصاب بفيروس الإيدز، علاوة على إنتشار أمراض سوء التغذية وفقر الدم فى مرحلة يكون هؤلاء الأطفال أحوج ما يكون إلى الرعاية الصحية الكاملة للمساعدة على نموهم بطريقة سليمة .

أما فى الكاميرون فلا يوجد إحصاء دقيق عن حجم عمالة الأطفال ، لكن الملاحظ وجود أعداد كبيرة منهم فى مختلف البلاد ، وتزيد بشكل خاص عمالة الأطفال فى الأنشطة ذات الكثافة العمالية العالية .

ويحظر التشريع فى الكاميرون عمل قالأطفال بل سن ١٤ سنة ، إلا أن بعض المجتمعات لديها عقبات مختلفة تفصل بين الطفولة والبلوغ، وتضم الكاميرون ٢٠٠ جماعة عرقية تختلف فيما بينها فى القيم والممارسات التقليدية .

وتنتشر البطالة بشكل كبير فى ظل الأزمة الاقتصادية مما يدفع الأطفال لمساعدة الأسرة وإعالة أنفسهم ، ويساهم فى ذلك الأنشطة الاقتصادية الهامشية فى القطاع غير الرسمى(٤٥) .

ويعمل الأطفال فى المناطق الريفية بالزراعة خاصة الإناث بالإضافة إلى نظافة المنزل وتبدأ الفتاة بالعمل فى سن مبكرة جدا قبل سن ٥ سنوات، وتتدرج المسئوليات المخولة إليها تبعا لتقدمها فى مراحل العمر ، وغالبا ما يتسرب الأطفال من المدارس من أجل العمل فى الزراعة .

أما فى المناطق الحضرية يعمل الأطفال كخدم فى المنازل أو كصبية فى الورش. كما تنتشر ظاهرة أطفال الشوارع ، ومعظم الأطفال العاملين فى الحضر يأتون من الريف .

ويندرج أطفال الشوارع فى ثلاث فئات : طفل يعمل فى الشارع مع أسرته أو

بمفرده، طفل يعمل فى الشارع وإتصاله بأسرته ضعيف ، وأخيراً طفل إنقطعت صلته تماما بأسرته . هذا بالإضافة إلى الأطفال المشردين أو الشحاذين ، أو من يمارسون أعمالا غير قانونية مثل الدعارة .

ويعمل الصبية فى الورش الصناعية فى ظروف قاسية وخطيرة ويتعرضون للاستغلال من خلال الأجر المنخفض ومخاطر العمل وطول ساعاته غيرها من الممارسات المنتهكة لحقوق الطفل .

وهذا يؤثر على نمو الطفل من النواحى الصحية والعقلية والتعليمية وقد يؤثر على فرصتيه فى الحياة.

وهذا يؤثر على نمو الطفل من النواحي الصحية والبدنية والعقلية والتعليمية وقد يؤثر على فرصته فى الحياة .

والتعليم الابتدائى ليس إجباريا فى الكاميرون وبسبب قلة الموارد ، وضعف بنية التعليم، ونقص المدرسين المدربين يصعب حصول الطفل على التعليم الأساسى ، كما أرتفعت تكلفة التعليم وأنتشرت البطالة بسبب الأزمة الإقتصادية [٤٦] .

وفى نيجيريا : تشير التقديرات إلى أن عدد سكان نيجيريا جوالى ١١١ مليون نسمة سنة ١٩٩٥، ويدين بالإسلام والمسيحية حوالى ٨٥٪ من جملة عدد السكان ، وتضم نيجيريا العديد من الجماعات العرقية، منها ثلاثة جماعات كبرى هى الايبو فى الشرق واليوروبا فى الغرب والهوسا فى الشمال . على الرغم من أن نيجيريا تعد من الدول الغنية بالثروات الطبيعية إلا أنها لم تأخذ وضعا تكنولوجيا وصناعيا مميزا، بسبب الزيادة الكبيرة فى عدد السكان . ويعانى السكان من الظروف المعيشية القاسية وقد تأثر الأطفال بهذا الوضع تأثرا كبيرا [٤٧] .

وتنتشر عمالة الأطفال فى نيجيريا بشكل كبير نسبيا ، حيث بلغت حوالى ٨ . ٢٥٪ من جملة القوى العاملة سنة ١٩٩٧، وهذه النسبة تشكل حوالى ٣ . ٩٪ من مجموع الأطفال فى الفئة العمرية من ١٠ : ١٤ سنة [٤٨] .

وتؤثر الثقافة التقليدية تأثيرا كبيرا فى ظاهرة عمالة الأطفال من خلال نظام العائلة الممتدة بالإضافة إلى الهجرة من الريف للمدن .

ويشيع فى نيجيريا وخاصة بين قبائل الهوسا زواج الفتاة فى سن مبكر جدا تكون فيه الخصوبة عالية، لذا فالشكل السائد هو إنجاب عدد كبير من الأطفال فى كل أسرة، ويكون للمرأة السيطرة الكاملة على إقتصاديات الأسرة مع أحتفاظ الرجل بالسيطرة السياسية ، وتحتفظ المرأة عادة بدخلها بعيدا عن سيطرة الرجل ، كما تعمل على تشغيل الأبناء لزيادة دخلها(٤٩) .

ويعمل الأطفال فى الأسواق التى تسيطر عليها النساء، ومن ثم يكون لدى المرأة الرغبة الدائمة فى الإنجاب لتقوية وضعها الاقتصادى ، حيث تعمل المرأة غالبا فى تجارة الشارع التى تعتمد بشكل واضح على النساء والأطفال، حيث يبدأ الطفل ميلاده فى الشارع مصاحبا للأم فى عملها ، ومن ثم يتدرب على العمل والإقامة فى الشارع، إلى أن يتمكن من الانتقال من مكان لآخر ومن منزل لآخر لترويج تجارته البسيطة بين الناس، وهذا النوع من العمل لايشكل خطورة كبيرة على الطفل لأنه يكون تحت الرعاية الكاملة للأم .

ويعمل بعض الأطفال فى حراسة مداخل المبانى وفى محطات الوقود للحصول على النقود التى تمكنهم من دفع مصروفات المدرسة(٥٠).

وتتحدد فى بعض مجتمعات غرب إفريقية العمل الذى يناط بالطفل سواء كان ذكرا أو أنثى، كذلك هناك إتجاها لتحديد أنواع العمالة لأطوار السن المختلفة، ففى نيجيريا تناط بالطفل فى السنوات الأولى من عمره أعمال تتعلق بشراء المواد الغذائية(٥١) .

وعلى الرغم من الأهتمام بالطفل فى نيجيريا ، فإنه يخضع لتربية صارمة وتكلفه الأسرة بأعمال يعتقد أنها تعطيه تأهيلاً وتدريباً بدنياً وذهنياً فى حياته المستقبلية ، ويشب الطفل ولديه إحساس بأنه لايستطيع الحصول على كل ما يريده ، ويتلقى الطفل تعليماً تقليدياً فى شكل معلومات حول الزراعة أو صيد السمك .

ويمكن إرجاع أحد أسباب عمالة الطفل فى نيجيرياإلى الرغبة فى إكتساب نوع التعليم أو التدريب الذى يعد الطفل ذهنياً . والسبب الثانى هو الذى تفرضه الحالة الإقتصادية ، فالأول يرجع إلى الرغبة فى جعل الطفل يقدر كرامة العمل المبكر كتمهيد للدخول فى مرحلة الرجولة ، أما الثانى يرجع إلى الفقر ويشيع بين الأسر ذات الدخول البسيطة جداً أو الفقيرة .

ويشيع عمل الأطفال فى القطاع غير الرسمي ، يليه القطاع شبه الرسمى كأعمال البناء ، وينخفض فى القطاع الرسمى ويرتبط بالتحضر والتحديث كما يعمل الأطفال فى الأعمال التى تديرها الأسرة، بينما لا ينجذبون إلى العمل فى المطاعم والفنادق ، كما لا تعمل الفتيات فى الأعمال التى تعرضهن لخطورة أخلاقية(٥٣) .

وفى القطاع غير الرسمى لاتوجد ساعات عمل منتظمة، ولا غذاء متوازن وقد يعانى الأطفال من سوء التغذية والمرض، ويتعرضون لأخطار بدنية وأخلاقية . وفى القطاع شبه الرسمى كالبناء والمقاولات فإن الطفل يتقاضى أجره بالقطعة أو باليوم . أما فى المناطق الريفية يتقاضى الطفل أجره يوميا ، ويبلغ أجر الطفل العامل فى الشارع كبائع متجول نفس أجر الطفل العامل فى الحقول وقد يزيد أحيانا(٥٤) .

وفى جنوب إفريقية : فى مجتمع Qwa Qwa على الحدود بين ناتال وليسوتو، نجد أن الطفل يتأثر إلى حد كبير بالعلاقة التى تربط بين الآباء والأمهات فى المجتمع ، فيشيع فى المجتمع ظاهرة الطلاق ومن يعمل ثم الأطفال مع الأم التى تتكفل برعايتهم، ويخرج هؤلاء الأطفال للعمل لمساعدة الأم ودفع تكاليف المعيشية .

ويشيع فى كواكوا الهجرات الفردية من جانب الرجال فى المناجم أو فى المناطق الحضرية وترك المرأة والأبناء بدون عائل ، ويترتب على هذا خروج المرأة للعمل وإهمال رعاية الأبناء مما يؤدى إلى ترك هؤلاء الأطفال للبيت والخروج إلى الشارع فى سن صغيرة لجمع بقايا الطعام من القمامة والعمل فى تنظيف السيارات أو تنظيف المحلات التجارية ، أو كمنادين فى مواقف التاكسى ، ويكون مكان الإقامة هو الاحتماء بمحطات السكك الحديدية أو محطات الأوتوبيسات فى نهاية يوم العمل الشاق مقابل

تنظيف عربات السكك الحديدية الفارغة والتى أصبحت منزلا لهؤلاء الأطفال ، ويعانى هؤلاء الأطفال من الأمراض المعدية والخطيرة بالإضافة إلى بعض الأمراض الاجتماعية مثل تعاطى المخدرات والشذوذ الجنسى (٥٥).

أما عن عمالة الأطفال فى جمهورية مصر العربية فقد قدر العدد الإجمالى للأطفال العاملين فى فئة العمر من ٦: ١٢ سنة بحوالى ١ . ١مليون طفل ويمثل هؤلاء الأطفال حوالى ٧٪ من إجمالى قوة العمل عام ١٩٨٤ .

وقد زادت هذه النسبة زيادة كبيرة خلال السنوات الماضية ، ويذهب البعض فى شرح الأسباب المؤدية إلى انتشار عمالة الأطفال فى مصر إلى أنها نتاج بيئة أسرية غير مواتية فتعجز الأسرة عن الإسهام فى تنمية قدرات الطفل مما يؤدى إلى مشكلة (٥٦) .

وتميل الأسر الفقيرة فى مصر إلى تفضيل الأسر كبيرة العدد لأنها تعيش حالة من عدم الشعور بالأمان ، ويرتبط ذاك بعوامل أقتصادية وثقافية ودينية فضلا عن وضع المرأة وعلاقتها بزوجها ، فبالنسبة للأسر العاملة فى الزراعة والأسر الفقيرة بشكل عام ، يعتبر الأطفال رصيدا اقتصاديا للأسر فضلا عن أن تربيتهم لا تكلفهم عبئا اقتصاديا كبيراً ، وليس العامل الاقتصادى وحده هو الذى يدفع إلى زيادة معدلات الإنجاب، فالعدد الكبير من الأطفال يعتبر قيمة فى حد ذاتها ، وهى قيمة ترتبط بالثقافة ، وهناك أسباب تشير إليها معظم دراسات الخصوبة فى مصر هو الاعتقاد بأن المرأة قد خلقت للإنجاب، وأن كثرة الإنجاب تمثل استقرار وأمنا للأسرة عامة والمرأة خاصة(٥٧).

ويساعد الأطفال فى أعمال المنزل وفى الأعمال المولدة للدخل ، ويسفر عن ذلك حلقة مفرغة من الخصوبة المرتفعة مع تدنى المستوى التعليمى والدخل المنخفض، وبذلك تنتشر ظاهرة عمالة الطفل فى سن صغير ، وأن الفقر هو تكيف استاتيكى ومستمر للحرمان منذ الطفولة، وأن التنشئة الاجتماعية فى مصر تعمل على استمرار هذه الثقافة مما ينشأ عنها ظروف نفسية سيئة(٥٨) .

ويرتبط عمل الأطفال بمهن الآباء ومجالات أعمالهم ، فالآباء العاملون فى مهن

بسيطة كالعمال أو الباعة الجائلين من ذوى الدخول البسيطة، ومن ثم فعمل الطفل له وظيفة أقتصادية ممثلة فيما يساهم به الطفل فى دخل الأسرة (٥٩) .

وتتنوع الأنشطة التى يعمل بها الطفل بدءا من مساهمته بالعمل داخل المنزل بدون أجر وهذا النمط شائع لا سيما بين الإناث أو مساهمته داخل المنشآت المختلفة فى المختمع بأجر محدد من خلال أنشطة اقتصادية تمثل خطورة على الطفل من الناحية الجسمانية والنفسية والتى يمارسها داخل المنشأة ويحصل منها على أجر محدد ويلتزم فيها بواجبات والتزامات محددة من حيث النوعية وساعات العمل .

ويعمل هؤلاء الأطفال فى الأنشطة الخطيرة ، وهى أنشطة إنتاجية مثل العمل فى الورش والمصانع الصغيرة مثل أعمال الميكانيكا والخراطة ، وكذلك العمل فى أفران الزجاج والمسابك والبلاط، أو فى بعض أعمال الكيماويات مثل صناعة الخراطيم والمواسير البلاستيك والصباغة . كذلك يعمل هؤلاء الأطفال في الأعمال الخدمية مثل العمل فى ورش كهرباء السيارات أو العمل فى المدابغ والدوكو(٦٠)، وتعد هذه من الأعمال الشاقة والصعبة على الطفل ، فمن ناحية تقع الورش والمصانع الصغيرة التى يعمل بها هؤلاء الأطفال فى القطاع غير الرسمى الذى يفتقد التنظيم اللازم، وأيضا الرقابة والتفتيش الدقيق سواء بالنسبة للشروط الصحية أو متطلبات الأمن الصناعى ، ومن ناحية أخرى يزاول الأطفال أعمالا يحذر قانون العمل عمل الأطفال بها لصغر السن، ولما تتصمنه من مخاطر تهدد سلامتهم (٦١) .

ويعمل الأطفال لساعات طويلة ، فمتوسط بداية العمل هو الثامنة صباحا تقريبا والانتهاء منه بعد السابعة مساء، ويعنى هذا أن الطفل يقضى حوالى إحدى عشر ساعة فى العمل لا يفصلها إلا فترات ضئيلة لتناول الطعام، ويعمل هؤلاء الأطفال حوالى ستة أيام أسبوعيا .

ولا يدرك هؤلاء الأطفال مخاطر العمل أو الظروف المحيطة به ، نظراً لصغر السن وعدم الخبرة أو الدراية الكافية علاوة على الفقر والحاجة الشديدة للعمل .

وتتعمق فكرة العمل لدى الطفل نظراً لنشأته فى أسرة يعمل فيها الأب وباقى

الأخوة بأعمال مختلفة خاصة الحرفية أو الخدمية دون الحصول على مستوى تعليمى مناسب ، ومن ثم يمثل العمل قيمة إجتماعية وإقتصادية هامة نظرا لما يساهم به العضو العامل من دخل يرفع مستوى الأسرة ويشبع العديد من احتياجاتها، ومن هنا كانت هناك علاقة محددة وواضحة ترتبط بين أوضاع الأسر المصرية الاجتماعية والاقتصادية وعمالة الطفل .

وترتبط ظاهرة عمالة الأطفال عموما ارتباطا وثيقا بتماسك الأسرة، ويعد التفكك الأسرى وأنتشار الطلاق، والزواج بغير الأب أو الأم من الأسباب الرئيسية لدفع الطفل إلى العمل، إلا أن عمالة الأطفال فى مصر قد خالفت هذا الرأى. حيث وجد أنه فى دراسة أجريت على الأطفال ، أن معظم الأطفال العاملين يعيشون فى أسر متكاملة مع الأب والأم(٦٢) .

وينتمى الأطفال العاملون إلى أسر كبيرة الحجم ، نتيجة ارتفاع معدلات الإنجاب. حيث بلغت فى المتوسط حوالى ٧ أفراد فى الأسرة، وهذا الارتفاع يؤثر فى تحديد الإمكانيات المادية التى تشبع من خلالها الكثير من حاجات الطفل العضوية والاجتماعية والنفسية والتى تؤدى إلى دفع الأطفال للعمل فى سن مبكر للمشاركة فى مسئولية الأسرة المادية .

وتوجد علاقة واضحة بين تعليم الآباء وعمالة الأطفال فى مصر حيث تمثل الطبقة الاجتماعية للأسرة عاملا مؤثرا فى إتجاهات الأطفال نحو المدرسة ، فالآباء من الطبقة العليا والمتوسطة الذين نالوا قسطا من التعليم ينظرون للمدرسة كوسيلة للأعداد النفسى والاجتماعى والمهنى ، وعلى ذلك تكون اتجاهاتهم إيجابية عن المدرسة ، أما أطفال الطبقات الفقيرة يكون لديهم ميلا إيجابيا أقل نحو المدرسة ويكونون أقل تأثراً بالمدرسة عن أطفال الطبقة المتوسطة أو العالية(٦٣) . ومن ثم يعانى أطفال الطبقة الفقيرة من انتشار الأمية لدى أسرهم ومن ثم يكون عاملا مشجعا على تسربهم من التعليم لافتقادهم إلى القدوة، وعليه فنسبة التسرب من المدرسة عالية نظرا لعدم وعى الأسر الكافى بأهمية التعليم وإنخفاض قيمته لانخفاض المستوى التعليمى للوالدين وإنخراط الآباء فى الأعمال الحرفية .

أما فى القرن الإفريقى والسودان فتختلف أسباب عمالة الأطفال أو تشرد الأطفال فى الشوارع عن غيرها من الدول الإفريقية الأخرى ، حيث تهدد الحروب حياة الأطفال، لما لها من أثار مدمرة على تمزق وإنهيار البنية التحتية والأنشطة الإنتاجية .

ويقدر عدد اللاجيئين فى الأقطار الأربع التى تشكل القرن الأفريقى وهى أثيوبيا – الصومال – جيبوتى أرتيريا بحوالى مليونين ، وطبقا لأحدث الأرقام فثمة ٨٣٨٤٥٨ أثيوبى فى السودان ، وقدر عدد السودانيين فى أثيوبيا مؤخراً إلى ٣٧٥٠٠٠، كما يتزايد باستمرار عدد الصوماليين البالغ ٤٠٠٠٠٠ ممن هربوا عابرين الحدود إلى أثيوبيا وجيبوتى بسبب الحرب فى الصومال(٦٤).

ويعتبر وضع الأطفال فى هذه البلدان غير مرضى ، فعظم البلدان المضيفة تعانى من الحروب الداخلية فيما عدا جيبوتى ، كما تعانى من وضع أقتصادى متدهور بسبب المجاعة والجفاف والسيول .

وطبقا لتقديرات ١٩٩٠ فإن حوالى ٤٧.٧٪ من اللاجئين الأثيوبيين الذين يعيشون فى معسكرات فى السودان هم أطفال دون الخامسة عشر، لكن عدد الأطفال يتجاوز ٥٠٪ فى بعض المعسكرات ويعانى هؤلاء الأطفال من أمراض سوء التغذية وأمرا الجهاز التنفسى والتهابات العيون بالإضافة إلى الملاريا والإسهال(٦٥).

ولكى تتضح تأثيرات الحروب يمكن توضيح الحالة العامة للنساء والأطفال فى فترات الحروب ، أى الظروف الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع الأم، فمثلا فى مجتمع جنوب السودان ، يعمل معظم الجنوبيين إما فى الزراعة أو الرعى، وتلعب النساء أدوارا هامة فى أنتاج الغذاء ويضطلعن بالعمليات الزراعة الرئيسية ومعالجة الغذاء خاصة منتجات الألبان . كذلك تساهم النساء فى صيد الأسماك وتجفيفها وفى رعى الحيوانات وتشمل أدوارهن الرئيسية رعاية الأطفال ويشارك الأطفال منذ سن مبكرة فى حياة الجماعة ويساعدون فى مختلف الأنشطة اليومية، والعلاقات الاجتماعية الوثيقة هي من بين أهم ملامح الجماعات فى جنوب السودان ، خاصة وسط العائلات الممتدة وبين جيرانهم . وكلا المجموعتين – أى القرابة والجيرة – توفران نسق

مساندة اجتماعى مهم . لذا فالنساء الجنوبيات يعشن فى بيئة ومحيط اجتماعى يساعدهن على اكتساب المهارات والتسهيلات لأداء دورهن الثلاثى الإنجابى والإنتاجى والإدارى .

وفى ذلك المحيط يكتسب الأطفال ثقافة جماعتهم والمهارات الضرورية لأداء الكبار عندمايحين الوقت لذلك. ومع ذلك فهذه الأدوار والشروط الاجتماعية ليست استاتيكية بل ديناميكية متغيرة، فقد تأثرت بالوضع الاقتصادى المتغير فى السودان.

أما فى مناطق الحروب ، أصبحت أدوار النساء الإنتاجية أكثر مشقة ومخاطرة وسط الجماعات التي بحثت عن اللجوء في المناطق النائية ، إذ يقع عليهن مهام تنظيف وتحضير الأرض ، وبالإضافة إلي ذلك تتعرض النساء والأطفال أثناء جمع حطب الوقود والماء قريبا من النهر لمخاطر الأسر أو الموت .

وتعيش النساء أيضا شروط صحية متدنية وبالتالي تتهدد حياتهن بإنتشار الأمراض المعدية التي بها يتأثر الأطفال أيضا . لأن غالبية النازحين هم من النساء والأطفال وهذا الاتجاه يسود فى جنوب السودان منذ زمن طويل حيث يبقى الرجال فى منطقة الحروب للانضمام إلي المجموعات المقاتلة بينما ترسل النساء والأطفال أو الأطفال وحدهم أحيانا إلي الأقاليم الأخري(٦٧).

وقد مرت النساء والأطفال ممن اتنقلوا إلي الأقاليم الشمالية من السودان بتجارب مختلفة ، فهم يرحلون فى الغالب بلا ممتلكات ويسيرون لزمن طويل قبل أن يصلوا إلي معسكرات التوطين أو الأماكن الأخرى في المدن . وهم يعيشون سواء في المعسكرات أو مع مجموعاتهم العرقية فى العشوائيات فى إزدحام وفى بيئة غير صحية ، ويعتمد الموجودون في المعسكرات علي إعانات الإغاثة بواسطة المنظمات غير الحكومية . ومع ذلك فهم لا يستطيعون الاعتماد علي مساعدة كهذه لزمن طويل ، فهي كثيرا ما تنقطع أو تتعطل بسبب الوضع السياسى ، بالإضافة إلى التنافس بين النازحين سواء من غرب السودان أو الجنوب حول هذا العون(٦٨).

وتعتمد الأسر النازحة - بسبب الفقر ومعدلات البطالة العالية في المدن الودانية ،

علي أطفالهم للمساهمة في دخل الأسر ، وحسب بيانات مجلس الكنائس السوداني فإن ٤و٢٥٪ من الأطفال الجنوبيين النازحين في الخرطوم يدخلون في قوة العمل . ، نظرا إلي أن غلبية الأطفال هم دون الخامسة ، فإن ٤٠٪ ممن هم فوق الخمس سنوات هم جزء من قوة العمل التي تعمل في غسيل السيارات وكباعة في الأسواق وباعة سجائر متجولين .

ومع ذلك فإن عددا كبيرا من الأطفال يصبحون متشردين ، ويشكل الأطفال الجنوبيين حوالي ثلثي أطفال الشوارع في الخرطوم والذين يقدر عددهم بخمس وعشرون ألفا من الأطفال ، وهم في الغالب من الذكور فوق العاشرة . ورغم أن بعضهم قد يقوم بنشاطات متقطعة ، إلا أن معظمهم يعولون أنفسهم بالتسول والسرقة . ومن المألوف أن يقوم هؤلاء الأطفال بجمع بقايا الطعام من القمامة . ونظرا لتجولهم لساعات طويلة في الشوارع في الجو الحار والشمس فإنهم يعرفون بإسم (الشماسة) .

وتنتشر العديد من الأمراض وسط هؤلاء الأطفال مثل الأنيميا والبلهارسياوالأمراض التناسلية ، علاوة علي ذلك فإن حياتهم معرضة للخطر بسبب العادات والممارسات السيئة المنتشرة فيما بينهم مثل التدخين واستنشاق البنزين والغراء وشرب الكحول وتدخين الحشيش(٦٩) .

كذلك يشارك الأطفال فوق السابعة في الخدمة المنزلية ، وفي هذا فهم عموما ينهمكون في العمل ، ويتلقون مقابلا قليلا بالمقارنة بالارتيريين أو مجموعات سودانية أخري تعمل في هذا النشاط ، وفوق ذلك فالأطفال لا يحميهم القانون ويمكن طردهم من الخدمة فى أى وقت بلا سبب . كما قد يتركون الخدمة عندما يجدون مقابلا أفضل فى مكان آخر. ويلاحظ. أن فتيات صغيرات أصبحن يعملن فى بيع الشاى والعصيدة .

ويشمل أطفال الشوارع الأيتام وغيرهم ممن فقدوا الاتصال بأبويهم أو بسبب فقر أسرهم ، فحياة الشوارع هى استراتيجية بقاء ، فهم يعيشون فى الشوارع بالتسول وأكل القمامة والسرقات، وهم معرضون للاضطهاد والاعتداء والاستغلال الجنسى .

ويواجه اللاجئون عموما والنساء والأطفال خاصة مشكلة الاجتثاث الثقافى

Uprooting، نتيجة الرحيل بسبب الحرب والإقامة فى بيئة إجتماعية مختلقة مع مجموعات عرقية مختلفة وهذا يعنى فقدانهم للرموز الثقافية والهوية وأنماط السلوك المعتاد ، بالاضافة إلى فقدان العديد من العلاقات المتأثرة بالحرب من اضطراب حياتهم الثقافية .

وقد أدى هذا الاجتثاث الثقافى إلى اضطراب أدوار النساء كأمهات ، والنتيجة أن دورهن فى مد ثقافتهن إلى أطفالهن أمر صعب . ذلك لأن حياة الجماعة وخصائصها فى المساندة والتعاون والأمن والتى تعزز هذه الأدوار قد تمزقت ، وقد تفسر مثل هذه القيود على الأمومة لانتشار ظاهرة أطفال الشوارع(٧٠).

ونخلص من العرض السابق إلى أن هناك أسباباً جوهرية تؤدى إلى إنتشار ظاهرة عمالة الأطفال بشكل واضح فى القارة الإفريقية تتمثل فى العوامل الاقتصادية والحاجة الشديد إلى تضافر كل أعضاء الأسر لسد حاجاتهم الضرورية ، وبالتالى اللجوء إلى عمل الطفل. كذلك تعتبر البيئة الأسرية غير المواتية ممثلة فى الانفصال بين الأبوين عاملاً هاما ومؤثراِ فى أنجاه الأطفال إلى الشوارع هرباً من هذه الظروف القاسية، وقد لعبت الحروب والصراعات دوراً هاماً فى تشرد الأطفال ولجوئهم إلى الشوارع والاحتماء بها .

وأختلفت الأسباب المؤدية لعمالة الأطفال فى مصر عنها فى الدول الإفريقية الأخرى حيث أتضح أن تصدع الأسر لا يعد عاملاً مؤثراً فى أنتشار الظاهرة وأقتصرت الأسباب على العوامل الاقتصادية والتسرب من التعليم .

ويمكن أن نصنف أهم الآثار الناتجة عن عمل الأطفال فى الآتى :

١ - من المعروف أنه ينظر إلى الطفل فى المجتمعات الأفريقية ، أنه أحد الموارد الاقتصادية الهامة للأسر ، حيث أن طبيعة هذه المجتمعات لا تعرف تميزا حادا بين العمل والراحة واللعب فالحياة هى العمل ، والعمل هو الحياة ، وحيث أن الطفل فى الريف ينضج فى فترة مبكرة ، فأنه يصبح لازما عليه أن يبدأ العمل فى سن مبكرة ليقوموا بنصيبهم فى العمل ، فتساعد البنات أمهاتهن فى الأعمال المنزلية ، والذكور

يقومون بأعمال الحقل المختلفة ، وليس مسموحا للطفل فى الريف الأفريقى أن يظل طفلا لمدة طويلة ، وأن ينال رعاية خاصة ، أنه درب مبكراً على تلقى مسئوليات الكبار، ومن هنا فالطفل فى الأسرة الأفريقية لا يمثل أدنى عبء على من يتولى آمره خاصة من الناحية الاقتصادية .

٢ - عمل الطفل فى سن مبكرة يمده بالإحساس بالرجولة المبكرة ، إذ يشعر الطفل بالثقة لقدرته على مساعدة أسرته اقتصاديا والإنفاق على نفسه .

٣ - يزيد من قدرة الطفل على حل كثير من مشاكله، وهذا يساعده على الاعتماد على نفسه أكثر من الاعتماد على الآخرين .

٤ - تشغيل الطفل فى سن صغيرة قد يساعد الأسر على زيادة دخلها ، وتحسين مستوى معيشتها .

٥ - عمل الطفل فى سن صغيرة يساعده على تعلم العديد من المهن ، أو الحرف فى سن مبكرة يزيد من مهارته وقدراته فى الكبر .

٦ - عمل الأطفال فى سن مبكرة يساعد على سد النقص فى بعض الحرف التى تأثرت بالمتغيرات الاقتصادية ، وذلك بعد هجرة العديد من التخصصات خاصة مصر .

٢ - الآثار السلبية :

١ - فى معظم الحالات تجد الأم صعوبة فى توفير الغذاء لأطفالها ، نظرا لقلة دخل الأب ، لذلك تضطر الأم أن تبحث عن عمل وتترك أطفالها بمفردهم بدون رعاية مع آخرين ، وغالبا ما تكون معيشتهم فى فترة غيابها فى الشارع ، وبالتالى يصبح أتجاه هؤلاء الأطفال فى الكبر للأعمال غير الدائمة مثل مسح الأحذية أو بيع الجرائد أو كباعة جائلين أو منادين فى مواقف التاكسى أو الأتوبيس، وبذلك يصبحون فريسة سهلة للانحراف ، والاتجاه للشحاذة أو السرقة .

٢ - فى الأسرة الصناعية نجد أنه إلى جانب القوانين التى تمنع تشغيل الأطفال في سن معينة ، أصبح الطفل فى حاجة إلى فترة كبيرة لكى يتمكن من الوصول إلى دور الإنتاج هذا بالإضافة إلى أن المعارف والمهارات المطلوبة للتكيف فى المجتمع الزراعى

في معظم المجتمعات الأفريقية ليست صعبة، فمهنة الزراعة بسيطة غير معقده عكس المجتمع الصناعى ، فإن أقل قابلية للتكيف تحتاج إلى تدريب علىٰ مهارات لم تكن موجودة من قبل ، فالحياة تغيرت فى الريف حيث كان الفرد يتعلم المهارات من والديه، إلى حياة معقدة يتعلم فيها الطفل مهارات قد لا يعرفها والده حتى يمكن أن يكون عضوا منتجا ، أى أن الطفل فى الأسرة الصناعية تغير مركزه، من وحدة منتجة فى الأسرة ، إلى عبء أقتصادى .

خلاصة القول أن التصنيع جعل من ولادة طفل جديد دمسئولية جديدة وكبيرة ، والعناية به تحتاج إلى جهد كبير إلى جانب إمتصاصه جزءا كبيرا من ميزانية الأسرة، وحاجته إلى الملابس ، والعناية الطبية، ومصاريف الترويح ، والمصاريف الأخرى التى يتحملها ساكن الحضر، والمجتمع الصناعى أكثر من سكان الريف، وهذا هو السبب الذى جعل الأسرة فى المجتمع الصناعى تميل إلى الإقلال من عدد أفرادها .

٣ - عمل الطفل فى سن مبكرة يؤدى إلى حرمانه من الحصول على قدر مناسب من التعليم .

٤ - يحرم الطفل من التمتع بمرحلة الطفولة ويجعله يتحمل مسئوليات أكبر من سنه .

٥ - دفع كثير من الأطفال إلى العمل فى مهن قد لا تتفق مع ميولهم أو قدراتهم.

٦ - تعرض الطفل لظروف عمل قد لا تتلائم مع حالته الجسمانية ، أو العقلية مما قد يؤدى بالتالى إلى تأخر نموه العقلى ، والبدنى ، والثقافى ، والمهنى والسلوكى .

٧ - هبوط مستوى الإنتاج من حيث الكم والكيف ، فكثيراً ما نرى الآن أطفالاً يقومون بأعمال تحتاج إلى الدقة .

٨ - تفشى بعض العادات الضارة بين هؤلاء الصغار ، كالتدخين وتعاطى المخدرات.

٩ - تضخم حجم قطاع الخدمات غير الإنتاجية ، كمنادى السيارات وبائع الجرائد والباعة الجائلين .

المراجع العربية والأجنبية :

Christian, Grootaert & Rovi Kanbur : Child Labour, AReview. World. Bank, 1995, P.3.

٢ - علا مصطفى : الطفل وأفاق القرن ٢١ . الأطفال العاملون الحاضر والمستقبل - المؤتمر السابع للإحصاء - المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية - القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ١٦٧ .

٣ - مكتب العمل العربى : الأحداث فى قوانين العمل العربية والأجنبية - مؤسسة الفليج للطباعة والنشر - الكويت ١٩٨٤ - ص - ٢٠.

Max, A. Anyutu, Ugand's Street children, Africa Insight, Vol. 26, No.3, 1996, p 268 .

٥ - أمانى عبد الفتاح : المتغيرات الإجتماعية المتعلقة بعمالة الأطفال « دراسة استطلاعية - معهد البحوث والدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس - العباسية - القاهرة - ١٩٩٤ - ص ١٥ .

٦ - إلهام عفيفى وآخرون - مؤتمر الطفل وأفاق القرن الحادى والعشرين - المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية - القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٢٧٨ .

٧ - المرجع السابق ص ١٥ .

٨ - علا مصطفى - عمالة الأطفال في السياق العالمى فى عمل الأطفال فى المنشآت الصناعية الصغيرة - المركز القومى للبحوث الرجتماعية والجنائية - القاهرة ١٩٩٦ - ص ١٤ .

9 - TLO, The Elimintation of Child Labour, Geneva, 1992- P.13.

10 - ILO- World Labour Report, Geneva 1993, P.28.

11 - Mende Leveich, E.ed " Child work, ILO, Geneva, 1980. P.12.

12 - Keith Grint: The Sociology of work-An Introduction, Polity Press.Cambridge1992, P.8.

13 - Ibid., P.9.

14 - Ilo, The Elimintation of child iabour, op-cit, p.14.

١٥ - علياء شكرى وآخرون - المرأة فى الريف والحضر « دراسة لحياتها فى العمل والأسرة ، دار المعوفة الجامعية - الإسكندرية ، ١٩٨٨ - ٣٩٣ .

16 - J.C. Kotzi: Children and the Family in Rural Settlement in Gazankulu. African Studies. Vol.51.No.2. 1992. pp. 143.

17 - ILO. The Elimination of Child Labour. op-cit. p.15.

١٨ - دراسة ميدانية قامت بها الباحثة فى مجتمعات أوغندا وكينا وتنزانيا فى مجتمعات أوغندا سنة١٩٩١ .

١٩ - أنيد شيلد كروت - نظرة جديدة لعمالة الأطفال - ترجمة تماضر توفيق - المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية - مجلة اليونسكو - عدد ٤٤ سبتمبر ١٩٨١ - ص ٨٨ .

٢٠ - حسن ملا عثمان : الطفولة فى الإسلام - مكانتها وأسس تربية الطفل - دار المريخ - الرياض - بدون سنة ص ص ٧٢ ، ٧٣ .

٢١ - عادل عازر وناهد رمزى - عمالة الأطفال فى مصر - المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية - القاهرة - سبتمبر ١٩٩١، ص ٣١ .

22- Odile, Frank: The Child Bearing Fmily in Sub Saharan Africa. Structure Fertility and Future, W.B. Sept. 1995 .

٢٣ - يترس لوراس لوكو: أتجاهات الأسرة والحركة السكانية فى أفريقيا ـ المتغيرات فى أنماط الأسرة ـ المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية ـ اليونسكو ١٩٩٠ - العدد ١٢٦ - ص ٤٢ .

٢٤ - ماجدة إبراهيم عامر : النمو السكانى فى أفريقيا - مجلة معهد البحوث والدراسات الأفريقية - العدد سنة ١٩٩٧، ص ١٩٤ .

25- Singh, Ram D.& Matthew J. Morey: The Value of Work-at home and Contribution of Wives. Economic Development and Cultural Change. 1997, P.793.

26- Neil, Price: The changing Value of Children Among Kikutu, of Central Province Kenya, Afica Vol. 66.No.3, 1996, p.412.

٢٧ - علياء شكرى وآخرون، مرجع سابق ، ص ٣٧٦ .

٢٨ - نفس المرجع السابق ، ص ص ٣٨٦، ٣٨٧ .

٢٩ - عبد الغفار محمد أحمد وسامية الهادى النقر - السودان - مستقبل التنمية والسلام - مركز الدراسات السودانية - القاهرة - مارس ١٩٩٥ . ص ص - ٨٦ - ٨٨.

٣٠ - عادل عازر، ناهد رمزى ، عمال الأطفال فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

٣١ - أمانى عبد الفتاح - مرجع سابق ذكره - ص ٧٨ .

32- J with Ennew: Difficult Circumstances some reflections on street. children in-Africa, Africa Insight. Vol. 26, No.3, 1996. P.203.

33- Max A. Anyuru: Uganda's Street Children, Africa Insight. vol. 26,. No.3, 1996. pp.270, 271.

34- World Bank,African Development Indicators, Washington. D.C. 1997. P. 288.

35- Ibid., P. 289.

36- Luis Aptekker : Streetchildren in Nairobi, Africe Insight. vo1.26, No.3, 1996, P.253.

37- Neil, Price, The Changing value of children among Kikuyu, op -cit P. 42.

38- Ibid ., p. 412 .

39- Ibid. ,P. 46.

40- Akabayashi, Hideo & George, Psacharopoulo, the Trade - off between Child labour and human formation. A Tanzanian-Case Study. the journal of development studies, vol. 35. No. 5, Frank cass. London 1999, P. 120.

41- Bourdillon, M.F.C., Street Children in Harrare, Africa vol. 26, No.2, 1995.

42- L, Dube & L.Kamvura : Working with street boys in Harare, Africa Insight, vol. No. 3. 1996, P. 265.

43- Bourdillon, op-cit. PP. 520-521.

٤٤ – علا مصطفي – مرجع سابق ص ١٧ .

٤٥ – نفس المرجع السابق – ص ١٩ .

46- P. Ebigbo, Street Children. The care of child abuse and neglect in Nigeria, Africa Insight, vol 26. No. 3, 1996, P. 244.

47- World bank, African development Indicators, op-cit. P. 288.

٤٨– أنيد شيلد كروت – مرجع سابق ص ٨٨ .

49- Christiaan Grootaert & Ravi kanbur, child labour: Areview, op-cit. P. 4.

٥٠ –أنيد شيلد كورت – مرجع سابق ص ٨٩.

٥١ – علا مصطفي وعزة كريم – مرجع سابق ص ١٥ .

٥٢ – نفس المرجع السابق ١٦ .

٥٣ – نفس المرجع السابق ١٧ .

54- Isak A., Niehaus: Domestic Dynamic and Wage labour: A Case Study Among urban Residents in Qwa Qwa. African studies, Vol. 47, No. 2, 1998, P. 129.

٥٥- عادل عارز : عمالة الأطفال في إطار حقوقه الأساسية - مرجع سابق - ص ٧٦ .

٥٦ - علياء شكري وآخرون : المرآة في الريف والحضر . مرجع سابق . ص ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

٥٧ - إلهام عفيفي وآخرون : الطفل وأفاق القرن الحادي والعشرين - مرجع سابق ص ٢٤٩ .

٥٨ - نفس المرجع السابق ص ٢٩٤ .

٥٩ - علا مصطفي وعزة كريم : عمل الأطفال في المنشآت الصناعية الصغيرة - مرجع سابق - ص ٩٩ .

٦٠ - نفس المرجع السابق ص ١١٤ .

٦١ - نفس المرجع السابق ص ١١٥ .

٦٢ - أماني عبد الفتاح : المتغيرات الإجتماعية المتعلقة بعمالة الأطفال في الريف « دراسة إستطلاعية » معهد الدرسات العليا للطفولة - مرجع سابق - القاهرة ١٩٩٤ - ص ٧٣ .

٦٣ - سامية الهادي النقر : السودان ومستقبل التنمية والسلام - مركز الدراسات السودانية - القاهرة مارس ١٩٩٥ . ص ص ٨٤ ، ٨٥ .

٦٤ - نفس المرجع السابق ، ص ٨٥ .

٦٥ - نفس المرجع السابق ص ١٠٢ .

66- Idris, Ghannan : Harmful, Traditional, Practices. Affecting, the Health of women and children in the sudan, International conference on population and development. Cairo, 1994. PP. 97- 98.

67- Ibid., P. 102.

٦٨ - سامية الهادي النقر - مرجع سابق ص ص ٨٣ ، ٨٤ .

69- Kafi, Nur Tawir: The state, Low, Traditions and the status, Human rights of woman. Country position Paper, Egypt, 1994. P. 105 .